الشرك بالله

يهدّد ويهدم الأعمال والأعمار
ويحرم سعادة ونعيم الأبد



إعداد
بشير شبدو

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

الشرك بالله

يهدّد ويهدم الأعمال والأعمار

ويحرم سعادة ونعيم الأبد

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

دار الفرقان للنشر والتوزيع -١٤٤١/٢٠٢٠

ردمك : ٩٧٨-٩٩٣١-٦١٦-٥٨-٠

الإيداع القانوني: السداسي الأول، ٢٠٢٠

Dar Al-furquan Edition. 2020

ISBN: 978-9931-616-58-0

Dépôt Légal: 1er semestre. 2020

ISBN 978-9931-616-58-0

دار الفرقان للنشر والتوزيع

٢٠ شارع أحمد حسينة بجوار مسجد السنة

- باب الوادي – الجزائر (العاصمة)

جوال: ٠٠ ٢١٣ (٠) ٥٥٦٩٦٥٨١٠

dar.alfurquan@gmail.com

الشِّرْكُ بِاللهِ

يهدّد ويهدم الأعمال والأعمار
ويحرم سعادة ونعيم الأبد

إعداد

بشـــير شـــبرو

دار الفرقان للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أمّا بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فهذه رسالة في بيان خطورة الشرك وأثره في هدم وإحباط الأعمال

الصالحة، وبيان أن الواجب على كل مسلم موحّد الحذر والخوف من الوقوع في الشرك وملابسته، كذلك بيان ضرورة وأهمية معرفته وحقيقته، حتى يتم للعبد توحيده ويسلم إسلامه ويصح إيمانه، لهذا مما ورد التركيز عليه في هذه الرسالة والتوسّع فيه بعض الشيء تعريف الشّرك وبيان حقيقته، لأن بعض رؤوس أهل الضّلال ودعاة وأنصار القبوريّة لمّا وجدوا النصوص القرآنية والنبوية قاطعة وساطعة في النهي عن الشرك وبيان عظم خطره وأثره، ذهبوا لتحريف تعريف الشّرك وصرفه عن معناه الحقيقي وحقيقته، وحصروا الشرك في الربوبيّة فقط، ليسلم لهم باطلهم وآلهتهم وأضرحتهم، لهذا خصّصنا جزءا كبيرا في آخر الرسالة لبيان حقيقة التفريق بين توحيد الربوبيّة وتوحيد الألوهيّة والرد على شبهات المخالفين للنصوص القرآنية.. قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [سورة يوسف: ١٠٦]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝٣٨﴾ [الزمر: ٣٨] وغيرها من الآيات. وكما قال الإمام العلاّمة المؤرخ المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (توحيد الألوهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين). [تجريد التوحيد المفيد ص٢١].

طوفان وإعصار الشّرك يهدّد ويهدم الأعمال والأعمار و يحرم سعادة ونعيم الأبد.. فالحذر الحذر

عباد الله إن الشرك شؤم يفتك لظاه بالفرد والمجتمع؛ فهو أعظم ذنب عصي الله به، فقد سأل عبد الله بن مسعود ﵁ رسول الله ﷺ: "**أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وقد خلقك**" رواه البخاري.

- والشرك ذنب لا يغفر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦]؛ فهو مانع من الجنة وموجب لخلود النار، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: ٧٢].
- والشرك أعظم المظالم، ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣].
- والشرك ضلال بعيد، ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء: ١١٦].
- والشرك افتراء مبين، ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء: ٤٨].
- والشرك محبط للعمل وموجب لخسار صاحبه كائناً من كان، ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

▪ والشرك سبب لتخلي المولى عن العبد وإسلامه لعدوٍ لا يرحمه، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١].

▪ والشرك نجاسة تدنّس من تلطخ بوضرها، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

▪ والشرك سبب لاختلال التصور واستجلاب الخرافة وارتعاب القلب، قال الله – تعالى –: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ﴾ [آل عمران: ١٥١].

▪ وانتشار الشرك مؤذن بالخراب، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ**" رواه مسلم.(١)

(١) https://www.alukah.net/sharia/0/63037/

أول ما يدعو إليه الأنبياء والمرسلون توحيد اللّه وأول ما ينكرونه الشرك ومظاهره

قال العلاّمة مؤرخ الجزائر الشيخ مبارك بن محمد الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكبر تلاميذ العلاّمة الإمام ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أول ما يدعو إليه المرسلون

إن القرآن العظيم يقص علينا في جلاء ووضوح أن أول ما يدعو إليه الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليهم أجمعين هو توحيد الله، وأول ما ينكرونه على قومهم الشرك ومظاهره، وعلى حكم هذه السنة الرشيدة جاءت بعثة خاتم النبيين ﷺ؛ فعنيت بالدعوة إلى التوحيد، والتحرز من الشرك، والتحذير منه، وما ذلك إلا لشدة الحاجة إلى معرفته، وإنك لتجد تلك العناية ظاهرة في الكتاب وأطوار البعثة وأركان الدين.[1]

(١) رسالة الشرك ومظاهره (ص٤٤).

القرآن الكريم جمع في دعوته بين بيان التوحيد ومزاياه وإيضاح الشّرك ودناياه

قال العلامة الإمام مبارك الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عناية الكتاب بعلاج الشرك

هذا الكتاب العزيز، فاقرأ وتدبر؛ تجد السور- مكيّها ومدنيّها- تفيض القول في حديث المشركين الغابرين والمعاصرين، ولا تكاد تخلو سورة من هذا الحديث، ولا تكاد تجد غيره في سور كثيرة، وأول ما نزل الآيات الخمس الأول من سورة العلق؛ فلم تخل من الإشارة إلى التوحيد، والتعريض بالوثنية؛ للأمر فيها بالقراءة باسم الرب، والتذكير بنعمه في الخلق والتعليم، وآخر ما نزل آية المائدة في إكمال الدين؛ فسدّت باب الابتداع.

ومن أسلوبه الحكيم: جمعه في دعوته بين بيان التوحيد ومزاياه وإيضاح الشرك ودناياه، وبضدها تتميز الأشياء.(١)

(١) رسالة الشرك ومظاهره (ص٤٤ -٤٥).

أطوار سيرة النبي ﷺ كلها لم تخلُ من إعلان التوحيد وشواهده ومحاربة الشرك ومظاهره

قال العلامة الإمام مبارك الميلي رَحِمَهُ اللَّهُ:

عناية البعثة بمحاربة الشرك

وهذه أطوار البعثة من حين الأمر بالإنذار المطلق في سورة المدثر، إلى الأمر بإنذار العشيرة، إلى الأمر بالصدع بالدعوة، إلى الأمر بالهجرة، إلى الإذن بالقتال، إلى فتح مكة، إلى الإعلام بدنو الحمام؛ لم تخل من إعلان التوحيد وشواهده، ومحاربة الشرك ومظاهره، ويكاد ينحصر غرض البعثة أولاً في ذلك، فلا ترك النبي ﷺ التنديد بالأصنام وهو وحيد، ولا ذهل عنه وهو محصور بالشعب ثلاث سنوات شديدات، ولا نسيه وهو مختف في هجرته والعدو مشتد في طلبه، ولا قطع الحديث عنه وهو ظاهر بمدينته بين أنصاره، ولا غلق باب الخوض فيه بعد فتح مكة، ولا شغل عنه وهو يجاهد وينتصر ويكر ولا يفر، ولا أكتفي بطلب البيعة على القتال عن تكرير عرض البيعة على التوحيد ونبذ الشرك، وهذه سيرته المدونة وأحاديثه المصححة؛ فتتبعها، تجد تصديق ما ادعينا، وتفصيل ما أجملنا.[1]

(١) رسالة الشرك ومظاهره (ص٤٥).

من الواجبات المحتمات ومن أهم المهمّات معرفة معنى الشّرك وخطره وأقسامه حتى يتم للعبد توحيده ويسلم إسلامه ويصح إيمانه

الشّرك في اللغة

الشرك في اللغة هو: اتخاذ الشريك يعني أن يُجعل واحداً شريكًا لآخر. يقال: أشرك بينهما إذا جعلهما اثنين، أو أشرك في أمره غيره إذا جعل ذلك الأمر لاثنين.

ومما جاء أيضا في تعريف الشرك لغة قولهم: الشرك في اللغة: يدل على المقارنة وخلاف الإنفراد. ويطلق كذلك على:

١- المداخلة.

٢- المخالطة.

٣- المشاركة.

٤- الإلتباس.

٥- النصيب.

٦- التسوية.[1]

(١) انظر: "مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني (٤٥١) و"معجم مقاييس اللغة" (٣/ ٢٦٥) و"المعجم الوسيط" (٤٨٠) و"لسان العرب" (٧/ ٩٩)
=

الشّرك في الشّرع

وأما في الشرع فهو: اتخاذ الشريك أو الند مع الله جل وعلا في الربوبية أو في العبادة أو في الأسماء والصفات.

والند هو: النظير والمثيل. ولذا نهى الله تعالى عن اتخاذ الأنداد وذم الذين يتخذونها من دون الله في آيات كثيرة من القرآن فقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]. وقال جل شأنه: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ [إبراهيم: ٣٠].

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: "**من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار**". رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

ومن التعريفات الدقيقة المختصرة للشرك في الشرع قول بعضهم:

الشرك هو: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.(١)

حدّ الشّرك الأكبر

قال العلامة الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن حدّ الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعـًا أو فرداً من أفراد العبادة لغير

و"الصحاح" (٤/ ١٣٠٧).

(١) «حاشية كتاب التوحيد» لعبدالرحمن بن قاسم النجدي (ص١٥)، «التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية» للرشيد (ص١٢٢).

https://alilmia.net/post/18132.

الله، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء.(١)

حقيقة الشّرك في نصوص القرآن والسنّة

أصل الشرك هو اتخاذ الند مع الله، وهذا ما سيتضح أكثر عند بيان حقيقة الشرك في نصوص القرآن والسنة.

إذا نظرنا إلى حقيقة الشرك في القرآن نرى: أن الله ﷻ بينها في كتابه بيانًا شافيًا واضحًا لا لبس فيه ولا غموض.

فقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢].

معنى الآية: النهي عن اتخاذ الأنداد مع الله بأي وجه من الوجوه، وقد نقل عن السلف في تفسير الآية مثل هذا القول، فمثلاً:

١- قال ابن عباس: (الأنداد: الأشباه).(٢)، والند: الشبه، يقال: فلان ند فلان، ونديده: أي مثله وشبهه، ومنه قول النبي ﷺ لمن قال له: ما شاء الله وشئت: "**أجعلتني لله ندا**"(٣)، وكل شيء كان نظيراً لشيء وشبيها فهو له ند.(٤)

(١) القول السديد (ص٤٣)، الحق الواضح المبين (ص٥٩).

(٢) انظر هذا القول فيما ذكره الطبري في تفسيره (١/ ١٢٦- ١٢٧).

(٣) رواه أحمد وغيره (صحيح الأدب المفرد (ص٦٠١).

(٤) انظر ما ذكره الطبري في تفسيره (١/ ١٢٧).

٢- قال ابن مسعود: (الأنداد: الأكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله)[١]، كما قال جل ثناؤه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التوبة: ٣١].

وقال الطبري: قال عدي بن حاتم: "**أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي، اطرح هذا الوثن من عنقك. فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم، فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟. قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم**".[٢] ففي هذا القول أيضـًا: إثبات كون الشرك هو اتخاذ الند، فإن من أثبت حق التشريع والتحليل والتحريم لغيره – سبحانه – فقد أثبت له الند.

٣- قال عكرمة: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾ (أي تقولوا: لولا كلبنا لدخل علينا اللص الدار، لولا كلبنا صاح في الدار، ونحو ذلك[٣]، فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئا، وأن يعبدوا غيره، أو يتخذوا له ندا وعدلا في الطاعة، فقال: كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم،

---

(١) جامع البيان للطبري (١/ ١٢٧).

(٢) رواه الترمذي وغيره (السلسلة الصحيحة (٣٢٩٣).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٦٩).

وملكي إياكم، ونعمتي عليكم، فكذلك فأفردوا لي الطاعة، وأخلصوا لي العبادة، ولا تجعلوا لي شريكًا ونداً من خلقي، فإنكم تعلمون: أن كل نعمة عليكم مني.[١]

٤- قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: (الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له).[٢]، فمعنى الأنداد على هذا المعنى هي الآلهة، والآلهة عند الكفار بمعنى الشفعاء لهم عند الله، وقد سماهم الله ﷻ شركاء، فقال – في الرد على اتخاذهم آلهة -: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ۚ﴾ [الأنعام: ٩٤].

٥- قال مجاهد: (الأنداد: العدلاء).[٣]

والعدلاء هنا أيضـًا بمعنى الشركاء لله في عبادته، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ۝١﴾ [الأنعام: ١] أي يشركون.[٤]، ويقال: من مساواة الشيء بالشيء: عدلت هذا بهذا، إذا ساويته به عدلاً.

قال الطبري: (يجعلون شريكًا في عبادتهم إياه، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان، وليس منها شيء شاركه في خلق شيء من

(١) جامع البيان للطبري (١/ ١٢٧).

(٢) انظر ما ذكره الطبري في تفسيره (١/ ١٢٧).

(٣) انظر ما ذكره الطبري في تفسيره (١/ ١٢٧).

(٤) انظر ما ذكره الطبري في تفسيره (٧/ ٩٢- ٩٣).

ذلك، ولا في إنعامه عليهم بما أنعم عليهم، بل هو المنفرد بذلك كله وهم يشركون في عبادتهم إياه غيره).[(١)]

٦- قال الطبري: (الأنداد جمع ند، والند: العدل، والمثل) والمقصود: أن اتخاذ الشبيه والكفؤ لله يسمى شركًا بالله، ولهذا أخبر سبحانه وتعالى أنه لم يكن له كفؤ ولا شبيه ولا نظير، لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ٤]. قال أبو العالية في معنى الآية: (لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء).[(٢)]، أي كيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه، تعالى وتقدس وتنزه[(٣)]، وهو الواحد الأحد، لا نظير له ولا وزير ولا نديد، ولا شبيه ولا عديل.[(٤)]

هكذا بين الله في كتابه حقيقة الشرك بالله بيانا واضحا، وهو: اتخاذ الند مع الله، وكل ما ذكر في معاني الند من الكفؤ، والشبيه، والمثل، والعدل، والآلهة، كلها معاني متقاربة تدل على معنى الشرك بالله، والتي تدل صراحة أن الشرك في الحقيقة: اتخاذ الند بمعنى الشبيه لله ﷻ كما سيأتي.

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٢٥٢).

(٢) انظر ما ذكره الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٢٤).

(٣) انظر ما ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٧٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٧).

كما أن هذا المعنى هو المستفاد من أحاديث الرسول ﷺ التي فيها بيان حقيقة الشرك، والدليل عليه:

١- ما روى الشيخان عن ابن مسعود قال: "**سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك**". (رواه البخاري ومسلم)... الحديث.

٢- ما رواه مسلم أيضـًا عنه: قال: قال رجل: "**يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: أن تدعو لله ندا وهو خلقك**". (رواه مسلم).... الحديث – وفي آخره – فأنزل الله ﷻ تصديقها: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٨].

٣- وروى الشيخان عن أبي بكرة قال: "**كنا عند رسول الله ﷺ فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: - ثلاثـًا- الإشراك بالله...**". (رواه البخاري ومسلم) الحديث.

ففي هذا الحديث ذكر أكبر الكبائر بأنه الشرك، فهو بمثابة التفسير للند المذكور في الحديثين السابقين.

وبهذا يحصل لنا حقيقة الشرك بلسان الرسول ﷺ، حيث فسر اتخاذ الند بالشرك، بأن الشرك أكبر المعاصي وأكبر الكبائر، وهو أن تجعل لله ندا ومثلا وشبيهـًا وعديلاً في العبادة وكفؤا في الطاعة، فمن جعل لله ندا

وشبيها فقد أشرك.

وأيضـًا اتضح لنا من خلال ما ذكرنا: أن الشرك إنما هو اتخاذ الند والشبيه لله من خلقه فيما يستحقه ﷻ من الإلهية والربوبية، فمن صرف شيئًا من هذه الخصائص لغيره فهو مشرك، فأصل الشرك وحقيقته إنما هو في التشبيه والتشبه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حقيقة الشرك: هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به،...).[1]، فالمشرك مشبه للمخلوق في خصائص الإلهية.

(الشرك في القديم والحديث (١/ ١١٧). [منقول من موقع الدرر السنية]).

(١) الجواب الكافي (ص ٣٢٦).

بيان حقيقة الشّرك بالله في تصوّر الإمام العلامة المحقّق ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **حقيقة الشرك**: هو التشبه بالخالق وتشبيه المخلوق به، هذا هو التشبيه في الحقيقة، لا إثبات صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ. فعكس الأمر من نكس الله قلبه وأعمى بصيرته وأركسه بكسبه، وجعل التوحيد تشبيها والتشبيه تعظيما وطاعة، فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية.

فإن من خصائص الإلهية: التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فضلا عن غيره - شبيها بمن له الأمر كله، فأزمة الأمور كلها بيديه، ومرجعها إليه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد.

فمن أقبح التشبيه: تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات.

ومن خصائص الإلهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوبة والتوكل والاستعانة، وغاية الذل مع غاية الحب - كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة أن يكون له وحده، ويمتنع عقلا وشرعا وفطرة أن يكون لغيره، فمن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل ولا ند له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله، ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره، مع أنه كتب على نفسه الرحمة.

ومن خصائص الإلهية: العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب، مع غاية الذل. هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين.

فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه به في خالص حقه، وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل، ولكن غيرت الشياطين فطر الخلق وعقولهم وأفسدتها عليهم، واجتالتهم عنها، ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله الحسنى، فأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم، فازدادوا بذلك نورا على نور، ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النور: ٣٥].

إذا عرف هذا فمن خصائص الإلهية السجود، فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به.

- ومنها: التوكل، فمن توكل على غيره فقد شبهه به.
- ومنها: التوبة، فمن تاب لغيره فقد شبهه به.
- ومنها: الحلف باسمه تعظيما وإجلالا له، فمن حلف بغيره فقد شبهه به، هذا في جانب التشبيه.

وأما في جانب التشبه به: فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء، وتعليق القلب به خوفا ورجاء والتجاء واستعانة، فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وإلهيته، وهو حقيق بأن يهينه غاية الهوان، ويذله غاية الذل، ويجعله تحت أقدام خلقه.

وفي الصحيح عنه ﷺ قال: "**يقول الله** ﷻ: **العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدا منهما عذبته** ".

وإذا كان المصور الذي يصنع الصورة بيده من أشد الناس عذابا يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصورة، فما الظن بالتشبه بالله في الربوبية والإلهية؟ كما قال النبي ﷺ: "**أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون، يقال لهم أحيوا ما خلقتم**".وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: "**قال الله** ﷻ: **ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي، فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة**"، فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر.

والمقصود: أن هذا حال من تشبه به في صنعة صورة، فكيف حال من تشبه به في خواص ربوبيته وإلهيته؟ وكذلك من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا لله وحده، كملك الملوك، وحاكم الحكام، ونحوه.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "**إن أخنع الأسماء عند الله رجل يسمى بشاهان شاه - أي ملك الملوك - لا ملك إلا الله**" وفي لفظ: "**أغيظ رجل على الله رجل يسمى بملك الأملاك**".

فهذا مقت الله وغضبه على من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا له، فهو سبحانه ملك الملوك وحده، وهو حاكم الحكام وحده، فهو الذي يحكم على الحكام كلهم، ويقضي عليهم كلهم، لا غيره.[١]

أصل الشرك بالله تعالى

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإنه لم يعدل بالله أحد من المخلوقات في جميع الأمور، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك".[٢]

أصل شرك العالم

قال العلاّمة الإمام الربّاني ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينـًا شناعة هذا الشرك وعظمه: "ومن أنواعه - أي الشرك الأكبر - طلب الحوائج من الموتى،

(١) الداء والدواء (ص ١٣٠- ١٣٢).

(٢) الاستقامة (١ / ٣٤٤).

والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعـًا، فضلاً عمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها، وهذا من جهله بالشافع، والمشفوع له عنده".(١)

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٣٥٣).

أكبر شرك على وجه الأرض وأفظعه دعاء غير الله وأكثر ما ورد النهي عنه في القرآن حيث ذكر في نحو (٣٠٠) ثلاث مائة موضع

قال الإمام العلاّمة عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أكبر شرك على وجه الأرض، وأفضعه، دعاء غير الله، من الأموات، والغائبين، الذي وضح الله تحريمه في كتابه، وأكثر فيه ما لم يكثر في أي نوع من أنواع العبادة، مثله، كل السجود، والذبح لغير الله، فذكر الذبح في موضعين، وذكر أنواع العبادات كذلك.

وأما الدعاء: فذكره في نحو ثلاث مائة موضع، منوعا،

- تارة على صيغة الأمر به، كقوله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ [الأعراف: ٢٩].
- وتارة يذكره الله بصيغة النهي كقوله: ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن: ١٨].
- وتارة يقرنه بالوعيد كقوله: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾ [الشعراء: ٢١٣].
- وتارة بتقرير أنه هو المستحق للألوهية والتعبد كقوله: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [القصص: ٨٨].
- وتارة في الخطاب بمعنى الإنكار على الداعي كقوله: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن

دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦].

▪ وتارة بمعنى الإخبار والاستخبار ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَوَٰتِ﴾ [الأحقاف: ٤].

▪ وتارة بالأمر الذي هو بصيغة النهي والإنكار ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢].

▪ وتارة أن الدعاء هو العبادة، وأن صرفه لغير الله شرك ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إلى قوله ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥- ٦]، ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم ٤٨-٤٩].

وفي الحديث: (**الدعاء هو العبادة**)، صححه الترمذي وغيره، وقد أتى فيه بضمير الفصل، والخبر المعرَّف باللام ليدل على الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء، وأنه مُعظم كل عبادة، ونهى ألا يشرك معه أحد فيه، حتى قال في حق نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠﴾ [الجن: ٢٠]، وأخبر أنه لا يَغفر أن يشرك به.[١]

(١) السيف المسلول على عابد الرسول (١٣١- ١٣٢).

الشّرك بالله لشدّة قبحه وتضمّنه غاية الظلم أخبر من كتب على نفسه الرّحمة أنّه لا يغفره أبدًا

قال الإمام العلاّمة المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن حقيقة الشرك: تشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق.

أمّا الخالق فإن المشرك شبّه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهيّة، وهي التفرّد بملك الضّر والنفع، والعطاء والمنع، فمن علّق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى، وسوّى بين التراب وربّ الأرباب، فأي فجور وذنب أعظم من هذا؟.

واعلم أن من خصائص الإلهيّة: الكمال المطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده عقلاً وشرعا وفطرةً، فمن جعل ذلك لغيره فقد شبّه الغير بمن لا شبيه له، ولشدّة قبحه وتضمّنه غاية الظلم أخبر من كتب على نفسه الرّحمة أنه لا يغفره أبدًا.

ومن خصائص الإلهيّة والعبوديّة التي لا تقوم إلاّ على ساق الحب والذّل، فمن أعطاهما لغيره فقد شبّهه بالله - سبحانه وتعالى - في خالص حقه. وقُبح هذا مستقر في العقول والفطر، لكن لما غيّرت الشياطين فطر أكثر الخلق، واجتالتهم عن دينهم، وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به

سلطانًا، كما روى عن الله أعرف الخلق به وبخلقه، عموا عن قبح الشرك حتى ظنّوه حسنًا.(١)

قال العلامة الإمام المقريزي رَحِمَهُ اللَّهُ: وبالجملة فالتّشبيه والتّشبّه هو حقيقة الشرك، ولذلك كان من ظن أنه إذا تقرّب إلى غيره بعبادةٍ ما يقرّبه ذلك الغير إليه تعالى فإنه يخطئ، لكونه شبّهه به، وأخذ ما لا ينبغي أن يكون إلاّ له، فالشرك منعه سبحانه وتعالى حقّه، فهذا قبيح عقلاً وشرعًا، ولذلك لم يشرع، ولم يغفر لفاعله.(٢)

قال العلاّمة الإمام الربّاني ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيّته:

والشـــرك فاحـــذره فشـــرك ظـــاهر
ذا القســـم لـــيس بقابـــل الغفـــران

وهـــو اتخـــاذ النـــد للـــرحمن أيّـــا
كـــان مـــن شـــجر ومـــن إنســـان

يـــدعوه أو يرجـــوه ثـــم يخافـــه
ويحبـــه كمحبـــة الـــديان

والله مـــا ســـاووهم بـــالله في
خلـــق ولا رزق ولا إحســـان

(١) تجريد التوحيد المفيد (ص٤٣- ٤٤).

(٢) تجريد التوحيد المفيد (ص٤٧).

لكـــــــنهم ســــــــاووهم بــــــــالله في
حــــــب وتعظـــــــيم وفي إيمـــــــان
جعلـــوا محبـــتهم مـــع الـــرحمن مـــا
جعلـــوا المحبـــة قـــط للـــرحمن

من نسج حسّان الدّعوة الإصلاحية، وكميت الفرقة الناجية، شاعر الجزائر، الأستاذ محمد العيد آل خليفة رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاحْـــذَرْ شِـــرَاكَ الشِّـــرْكِ فَهِـــيَ كَثِيـــرَةٌ
شَـــتَّى الْمَظَـــاهِرِ جَمَّـــةُ الْأَنْـــوَاعِ
كَـــمْ وَاقِـــعٍ فِيهَـــا ويَحْسَـــبُ أَنَّـــهُ
فِـــي الـــدِّينِ حُـــرُّ الْعَقْـــدِ رَحْـــبُ الْبَـــاعِ
الشِّـــــرْكُ دَاءٌ فِـــــي الْبَرِيَّـــــةِ كَـــــامِنٌ
مُسْـــــتَفْحِلُ الْأَضْـــــرَارِ والْأَوْجَـــــاعِ
الشِّـــرْكُ سَـــتْرٌ حِيـــكَ مِـــنْ نَسْـــجِ الْهَـــوَى
غَطَّـــى عَلَـــى الْأَبْصَـــارِ وَالْأَسْـــمَاعِ
فَـــاقْبِسْ مِـــنَ التَّوْحِيـــدِ أَعْظَـــمَ جَـــذْوَةٍ
وَتَمَـــشَّ تَحْـــتَ ضِـــيَائِهَا اللَّمَّـــاعِ
يَـــا عَبْـــدُ ثِـــقْ بِـــاللهِ يَكْفِـــكَ وَحْـــدَهُ
يَـــا عَبْـــدُ سَـــلْهُ يُجِبْـــكَ بِالْإِسْـــرَاعِ

وَاصْـــبِرْ بِبَـــابِ اللهِ نَفْسَـــكَ ضَـــارِعـًا
يَفْتَحْـــهُ مِصْــرَاعـًا عَلَـــى مِصْـــرَاعِ
وَإِلَيْـــهِ بِالطَّاعَـــاتِ كُـــنْ مُتَوَسِّـــلاً
لَا بِـــالْمُنَى وَكَـــوَاذِبِ الْأَطْمَـــاعِ
وَبِآيِـــهِ الْمُثْلَـــى فَكُـــنْ مُتَهَجِّـــداً
لَا بِالْأَغَـــانِي الْعَذْبَـــةِ الإِيْقَـــاعِ(١)

(١) رسالة "الشِّرْكِ وَمَظَاهِرِهِ" (ص٣١- ٣٢) ، للعلّامة السَّلَفي، مؤرّخ الجزائر، وأمين مال "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، الشيخ مبارك بن محمد الميلي، رحمه الله تعالى، المتوفّى سنة (١٩٤٥م).

أنواع الشّرك بالله

الشّرك نوعان:

النوع الأول: شرك أكبر يُخرج من الملة، ويخلَّدُ صاحبُهُ في النار، إذا مات ولم يتب منه، وهو صرفُ شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء غير الله، والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من القبور والجن والشياطين، والخوف من الموتى أو الجن أو الشياطين أن يضروه أو يُمرضوه، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات، وتفريج الكُربات، مما يُمارسُ الآن حولَ الأضرحة المبنية على قبور الأولياء والصالحين، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

والنوع الثاني: شرك أصغر لا يخرج من الملة؛ لكنه ينقص التوحيد، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان:

١- **القسم الأول**: شرك ظاهر على اللسان والجوارح وهو: ألفاظ وأفعال، **فالألفاظ** كالحلف بغير الله، قال ﷺ: "**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**". وقول: ما شاء الله وشئت، قال ﷺ: لما قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: "**أجعلتني لله نِدًّا؟ ! قُلْ: ما شاءَ الله وحده**". وقول: لولا

الله وفلان، والصوابُ أن يُقالَ: ما شاءَ الله ثُمَّ شاء فلان؛ ولولا الله ثمَّ فلان، لأن (ثم) تفيدُ الترتيب مع التراخي، وتجعلُ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وأما الواو: فهي لمطلق الجمع والاشتراك، لا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا؛ ومثلُه قول: ما لي إلا الله وأنت، و: هذا من بركات الله وبركاتك.

وأما الأفعال: فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمائم خوفًا من العين وغيرها؛ إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه، فهذا شرك أصغر؛ لأن الله لم يجعل هذه أسبابًا، أما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر لأنه تَعلَّق بغير الله.

٢- **القسم الثاني** من الشرك الأصغر: شرك خفي وهو الشرك في الإرادات والنيات، كالرياء والسمعة، كأن يعمل عملًا مما يتقرب به إلى الله؛ يريد به ثناء الناس عليه، كأن يُحسن صلاته، أو يتصدق؛ لأجل أن يُمدح ويُثنى عليه، أو يتلفظ بالذكر ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس، فيُثنوا عليه ويمدحوه. والرياء إذا خالط العمل أبطله، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. وقال النبي ﷺ: **"أخوفُ ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟**

قال: الرياء".

ومنه: العملُ لأجل الطمع الدنيوي، كمن يحج أو يؤذن أو يؤم الناس لأجل المال، أو يتعلم العلم الشرعي، أو يجاهد لأجل المال. قال النبي ﷺ: **"تَعِسَ عبدُ الدينار، وتَعِسَ عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعطَ سخط".**

قال الإمام الربّاني ابن القيم رحمه الله: "وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه. فمن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئًا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه؛ فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص: أن يُخلصَ لله في أفعاله وأقواله، وإرادته ونيته. وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يُقبلُ من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]. وهي ملَّةُ إبراهيمَ عليه السلام التي من رغب عنها فهو من أسفَهِ السُّفهاء" انتهى.

فروقٌ بين الشّرك الأكبر والأصغر

١- الشرك الأكبر يُخرج من الملة، والشرك الأصغر لا يُخرج من الملة، لكنه ينقص التوحيد.

٢- الشرك الأكبرُ يخلِّدُ صاحبه في النار، والشرك الأصغر لا يُخلِّد

صاحبُه فيها إن دَخَلها.

٣- الشركُ الأكبرُ يحبطُ جميعَ الأعمال، والشركُ الأصغرُ لا يُحبِطُ جميع الأعمال، وإنما يُحبِطُ الرياءُ والعملُ لأجل الدنيا العملَ الذي خالطاه فقط.

٤- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر لا يبيحهما.[1]

حكم العمل إذا خالطه الرياء

الواجب على كل مسلم أن يُخلص عمله لله ﷻ، وألا يبتغي بعمله إلا وجهه تعالى، فقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥]. وقال: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠﴾ [الليل: ١٩-٢٠]. وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [هود: ١٥-١٦].

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**». (رواه مسلم في

(١) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك (١/ ٧٧ - ٨٠).

صحيحه).

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**».(١)

وفي حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه مرفوعـًا: "**إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، هل تجدون عندهم جزاء؟**".(٢)

وفي حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه الآخر، قال: خرج النبي ﷺ فقال: "**أيها الناس! إياكم وشرك السرائر. قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟. قال: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر**".(٣)

والآيات والأحاديث في الباب كثيرة.

وعليه فينبغي للعبد أن يتعاهد إخلاصه، وأن يحاسب نفسه، وأن يفتش في أحوالها، فإن الإخلاص عزيز، وهو أشد شيء على النفس، كما قال التابعي الجليل ابن أبي ملكية: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ،

---

(١) رواه النسائي، السلسلة الصحيحة (٥٢).

(٢) رواه أحمد والطبراني، السلسلة الصحيحة (٩٥١).

(٣) رواه ابن خزيمة والبيهقي، صحيح الترغيب والترهيب (٣١).

كلهم يخاف النفاق على نفسه.

العملَ إذا شابَه الرِّياء، واختلط به لا يخلو مِن الأقسام التالية:

أولاً: أن يكون رياءً محضًا لا يُراد به سوى مُرآةِ المخلوقين لغرَض دُنيوي، وهذا لا يكاد يصْدُر مِن مؤمن في العبادات القاصِرة؛ كالصلاة والصيام ونحوها، وإنَّما قد يصدر غالبًا في العبادات المتعَدِّية كالصَّدقة، وغيرها مِن الأعمال الظاهِرة، فيكون - والحالة هذه - هي حالة المنافقين، الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢]، فهذا العمل لا يشكُّ مسلِمٌ أنَّه حابط، وأنَّ صاحبه يستحقُّ المقْتَ والعقوبة مِنَ الله.

ثانيًا: أن يكون العملُ لله، ويشاركه الرِّياء؛ فإنْ كان في أصْله فهو باطِل وحابِط، كما جاء عن أبي هريرة عنِ النبي ﷺ قال: "**يقول الله - تبارك وتعالى -: أنا أغْنى الشُّركاء عنِ الشِّرْك، مَن عمِل عملاً أشْرك فيه معي غيري، تركتُه وشِرْكَه**".(صحيح مسلم).

وعلى هذا طائفةٌ من السَّلف؛ منهم: عُبادة بن الصامت، وأبو الدرْداء، والحسن، وسعيد بن المسيّب، وغيرهم، وإن كان فيه خلاف عند المتأخِّرين.(١)

(١) جامع العلوم والحِكم (١ / ١٧).

ملاحظة: إذا خالَط نيةَ الجهاد أو غير ذلك نية غير الرياء؛ كأَخْذ شيء من الغنيمة أو الأُجْرة على الخِدمة أو التجارة، هل يبطل عملُه أم لا؟ الصحيحُ من أقوال أهل العلم، والذي عليه النصوص: أنَّه لا يبطل، بل ينقص أجْرُه، كما جاء عن عبدالله بن عمرو، عنِ النبي ﷺ قال: "**إنَّ الغُزاة إذا غنِموا غنيمةً، تعجَّلوا ثلثي أجْرَهم، فإنْ لم يَغْنموا شيئًا، تمَّ لهم أجرُهم**".(صحيح مسلم).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: "التاجِر والمستأجر والمكاري أجرُهم على قدْر ما يخلص مِن نيتهم في غزاتهم، ولا يكون مثل مَن جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره".، وقال أيضًا فيمَن يأخذ جُعلاً على الجهاد: "إذا لم يخرجْ لأجل الدراهم فلا بأسَ أن يأخذ، كأنَّه خرَج لدينه، فإنْ أُعطي شيئًا أخذَه".[(١)]

وكذا رُوي عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: "إذا أجْمع أحدُكم على الغزو، فعوَّضه الله رزقًا، فلا بأسَ بذلك، وأما إنْ أُعطي درهمًا غزَا، وإن مُنِع درهمًا مكَث، فلا خيرَ في ذلك".

وكذا قال الأوزاعيُّ: "إذا كانتْ نيَّة الغازي على الغزو، فلا أرَى بأسًا".

ثالثًا: أن يكون أصْل العمل لله، ثم طرأت عليه نيَّة الرِّياء، فإنْ كان

(١) جامع العلوم والحِكم (١ / ١٧).

خاطرًا ودفعَه فلا يضرُّه بغيْر خِلاف، وإنِ استرسل معه، فهل يحبط عمله أم لا يضرُّه ذلك ويُجازَى على أصْل نيته؟

في ذلك اختلافٌ بيْن العلماء من السلَف، قد حكاه الإمامُ أحمد وابن جرير الطبري، ورجَّحَا أنَّ عمله لا يبطل بذلك، وأنه يُجازَى بنيته الأُولى، وهو مرويٌّ عن الحسَن البصري وغيرِه.

ثم ذكر ابن جرير أنَّ هذا الاختلاف إنَّما هو في عمل يرتبط آخرُه بأوَّله؛ كالصلاة، والصِّيام، والحج، فأمَّا ما لا ارتباطَ فيه؛ كالقراءة، والذِّكْر، وإنفاق المال، ونشْر العلم، فإنَّه ينقطع بنيَّة الرياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديدِ نيته.[1]

وأمَّا إذا عمِل العملَ لله خالصًا، ثُمَّ ألْقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرِح بفضْل الله ورحمته، واستبشَر بذلك، لم يضرَّه ذلك.

وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه عنِ النبي ﷺ: أنَّه سُئِل عن الرجل يعمل العملَ لله مِن الخير، ويحمده الناس عليه، فقال: "**تِلك عاجِلُ بُشْرى المؤمن**". (صحيح مسلم).[2]

قال العلاّمة الإمام ابن عثيمين رحمه الله: والرياء يبحث في مقامين:

▪ **المقام الأول**: في حكمه.

---

(١) جامع العلوم والحِكم (١ / ١٧).

(٢) https://www.alukah.net/sharia/0/23657/#ixzz5ygwDdT3T.

فنقول: الرياء من الشرك الأصغر؛ لأن الإنسان قصد بعبادته غير الله، وقد يصل إلى الأكبر، وقد مثل ابن القيم للشرك الأصغر؛ فقال: "مثل يسير الرياء"، وهذا يدل على أن الرياء الكثير قد يصل إلى الأكبر.

▪ **المقام الثاني**: في حكم العبادة إذا خالطها الرياء، وهو على ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون الباعث على العبادة مراءاة الناس من الأصل، كمن قام يصلي من أجل مراءاة الناس ولم يقصد وجه الله؛ فهذا شرك والعبادة باطلة.

الثاني: أن يكون مشاركا للعبادة في أثنائها، بمعنى أن يكون الحامل له في أول أمره الإخلاص لله ثم يطرأ الرياء في أثناء العبادة.

فإن كانت العبادة لا ينبني آخرها على أولها؛ فأولها صحيح بكل حال، والباطل آخرها. مثال ذلك: رجل عنده مئة ريال قد أعدها للصدقة فتصدق بخمسين مخلصا وراءى في الخمسين الباقية؛ فالأولى حكمها صحيح، والثانية باطلة.

أما إذا كانت العبادة ينبني آخرها على أولها؛ فهي على حالين:

أ- أن يدافع الرياء ولا يسكن إليه، بل يعرض عنه ويكرهه؛ فإنه لا يؤثر عليه شيئا، لقول النبي ﷺ: **"إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم"** (رواه البخاري ومسلم)، مثال ذلك: رجل قام يصلي ركعتين مخلصا لله، وفي الركعة الثانية أحس بالرياء، فصار يدافعه؛

فإن ذلك لا يضره ولا يؤثر على صلاته شيئا.

ب- أن يطمئن إلى هذا الرياء ولا يدافعه؛ فحينئذ تبطل جميع العبادة، لأن آخرها مبني على أولها ومرتبط به. مثال ذلك: رجل قام يصلي ركعتين مخلصا لله، وفي الركعة الثانية طرأ عليه الرياء لإحساسه بشخص ينظر إليه، فاطمأن لذلك ونزع إليه؛ فتبطل صلاته كلها لارتباط بعضها ببعض.

الثالث: ما يطرأ بعد انتهاء العبادة؛ فإنه لا يؤثر عليها شيئا، اللهم إلا أن يكون فيه عدوان؛ كالمن والأذى بالصدقة، فإن هذا العدوان يكون إثمه مقابلا لأجر الصدقة فيبطلها؛ لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

- وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته؛ لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة.

- وليس من الرياء أيضا أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه، بل ذلك دليل على إيمانه، قال النبي ﷺ: "**من سرته حسناته وساءته سيئاته؛ فذلك المؤمن**" (أخرجه أحمد والترمذي)، وقد سئل النبي ﷺ عن ذلك؛ فقال: "**تلك عاجل بشرى المؤمن**" (أخرجه مسلم).(١)

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٢٥- ١٢٦).

لابد لتحقيق التوحيد من معرفة التوحيد والعمل به ومعرفة الشّرك والحذر والخوف منه

قال الشيخ العلاّمة صالح الفوزان حفظه الله : لا يكفي أنّ الإنسان يعرف التّوحيد ويعمل به، بل لابد أن يعرف ضدّه وهو الشرك، خشية أن يقع فيه، ويُفسد عليه توحيده، لأن من لا يعرف الشيَّء يوشك أن يقع فيه..

- لا يعرف قيمة التّوحيد، وفضل التّوحيد، وتحقيق التّوحيد إلاَّ من عرف الشرك وأمور الجاهلية حتى يتجنّبها، ويحافظ على التّوحيد..
- والواجب أننا، كما نعرف الحق؛ يجب أن نعرف الباطل، من أجل أن نعمل بالحق، ونتجنّب الباطل، ولهذه المناسبة العظيمة ذكر الشيخ "باب الخوف من الشرك" بعدما ذكر أبواب التّوحيد وفضله، وما يكفر من الذنوب، وتحقيق التّوحيد وهذه نعمة عظيمة لكن إذا حازها الإنسان، فإنه يخشى من ضدها، فلابد أن يعرف ضدّها حتى يتجنّبه..
- **"باب الخوف من الشرك"** أي: أن الموحّد يجب أن يخاف من الشرك، ولا يقول أنا موحّد وأنا عرفت التّوحيد، ولا خطر علي من الشرك، هذا إغراء من الشيطان، لا أحد يزكي نفسه، ولا أحد لا يخاف من الفتنة ما دام على قيد الحياة، فالإنسان معرّض للفتنة، ضلّ علماء أحبار،

وزلّت أقدامهم، وخُتم لهم بالسّوء، وهم علماء، فالخطر شديد، ولا يأمن الإنسان على نفسه أن تَنْزَلِق قدمه في الضلال، وأن يقع في الشرك، إلاَّ إذا تعلم هذه الأمور من أجل أن يجتنبّها، واستعان بالله، وطلب منه العصمة والهداية: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ خافوا من الزّيغ بعد الهداية، والمهتدي يكون أشد خوفًا أن يزيغ، وأن تزلّ قدمه، وأن تسوء خاتمته، وأن يكون من أهل النار، نسأل الله العافية.(١)

---

(١) إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد (١/ ٩٣ -٩٤ -٩٥).

حقيقٌ على من يهتم لسعادته في الدار الباقية أن يعترف بحاجته الشّديدة إلى معرفة الشّرك ومظاهره

قال العلامة الشيخ مبارك بن محمد الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واجب المرشد والمسترشد

لعلك لا تجد في عيوب النفس ونقائص الإنسان ما يضاهي الشرك في اقتضاء طبع المتدين له، وخفاء مساربه إلى نفسه، ودفاع المتأولين عنه؛ فكان لزامًا على من يهتم لسعادته في الدار الباقية أن يعترف بحاجته الشديدة إلى معرفة الشرك ومظاهره، وأن يعتني كل الاعتناء بالبحث عن كل ذريعة إلى هذا الداء؛ ليتقيه أيما اتقاء، فلا يسري إلى جنانه، ولا يعلق بلسانه، ولا يظهر على شيء من أركانه، وكان من آيات المرشد النصوح وأخص مظاهر نصحه أن يجعل أولى ما يتقدم به إلى العامة وأول ما يقرع به أسماعهم التحذير من الشرك ومظاهره، وبيان مدلوله وأنواعه، ثم الصبر على ما يلحقه لذلك من أذى جاهل متحمس، ومغرض متعصب، وضال متأول.[1]

(١) رسالة الشرك ومظاهره (ص٤٤).

تحقيق التوحيد يكون بإخلاص العمل للّه تعالى، وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، وتكمليه بفعل السنن وترك المكروهات

قال الإمام العلاّمة عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وتحقيق التوحيد قدر زائد على ماهية التوحيد، وتحقيقه من وجهين: واجب ومندوب، فالواجب تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي. فالشرك ينافيه بالكلية، والبدع تنافي كماله الواجب، والمعاصي تقدح فيه وتنقص ثوابه، فلا يكون العبد محققا للتوحيد حتى يسلم من الشرك بنوعيه، ويسلم من البدع والمعاصي، والمندوب تحقيق المقربين، تركوا ما لا بأس به حذرا مما به بأس، وحقيقته هو انجذاب الروح إلى الله، فلا يكون في قلبه شيء لغيره، فإذا حصل تحقيقه بما ذكر، فقد حصل الأمن التام، والاهتداء التام..[١]

قال العلامة الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وتحقيق التوحيد: تخليصه من الشرك، ولا يكون إلا بأمور ثلاثة:**

الأول: العلم؛ فلا يمكن أن تحقق شيئا قبل أن تعلمه، قال الله تعالى:

---

(١) حاشية كتاب التوحيد (ص٣٧).

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

الثاني: الاعتقاد، فإذا علمت ولم تعتقد واستكبرت، لم تحقق التوحيد، قال الله تعالى عن الكافرين: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ [ص: ٥] فما اعتقدوا انفراد الله بالألوهية.

الثالث: الانقياد، فإذا علمت واعتقدت ولم تنقد، لم تحقق التوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ۝٣٦﴾ [الصافات: ٣٦- ٣٧] فإذا حصل هذا وحقق التوحيد؛ فإن الجنة مضمونة له بغير حساب، ولا يحتاج أن نقول إن شاء الله، لأن هذا حكاية حكم ثابت شرعا، ولهذا جزم المؤلف رحمه الله تعالى بذلك في الترجمة دون أن يقول: إن شاء الله.

أما بالنسبة للرجل المعين، فإننا نقول: إن شاء الله.(١)

قال العلامة الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **والتوحيد لا يتم إلا بركنين، هما:**

١- الإثبات.

٢- النفي.

إذ **النفي المحض**: تعطيل محض، و**الإثبات المحض**: لا يمنع المشاركة، مثال ذلك: زيد قائم، يدل على ثبوت القيام لزيد، لكن لا يدل

(١) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (١/ ٩١).

على انفراده به.

ولم يقم أحد، هذا نفي محض.

ولم يقم إلا زيد، هذا توحيد له بالقيام، لأنه اشتمل على إثبات ونفي.(١)

(١) القول المفيد (١/ ٣٠).

عظم أهمية التوحيد توجب معرفة ما يضاده وهو الشرك حتى يحذر منه العبد على توحيده

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وقال هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾... وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"** (رواه البخاري ومسلم).

ولهذا كان الصحيح أنَّ أوَّل واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك، كما هي أقوالٌ لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان... فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" من كان آخر كلامه لا إله إلا الله**

دخل الجنة "، وهو أول واجب وآخر واجب.(١)

ولأهمية التوحيد كان لا بد من معرفة ما يضادّه وهو الشرك حتى يحذر منه المرء على توحيده.

قال العلامة سليمان آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لما كان الشرك أعظم ذنب عصي الله به، ولهذا رتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، من إباحة دماء أهله وأموالهم، وسبي نسائهم وأولادهم، وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه، نبه المصنف بهذه الترجمة على أنه ينبغي للمؤمن أن يخاف منه ويحذره، ويعرف أسبابه ومبادئه وأنواعه لئلا يقع فيه، ولهذا قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه. وذلك أن من لم يعرف إلا الخير قد يأتيه الشر ولا يعرف أنه شر، فإما أن يقع فيه، وإما أن لا ينكرَه كما ينكره الذي عرفه، ولهذا قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية)".(٢)

---

(١) رواه أحمد وأبو داود، صحيح أبي داود (٢٦٧٣). شرح الطحاوية (ص٧٧-٧٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص١١٤).

ضرورة خوف العبد من الشرك ومن طرقه ووسائله وأسبابه

قال العلاّمة الإمام السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإذا كان الشركُ ينافي التوحيدَ ويُوجِبُ دخولَ النارِ والخلودَ فيها وحرمانَ الجنةِ إذا كانَ أكبرَ، ولا تَتَحَقَّقَ السعادةُ إلا بالسلامةِ منه، كانَ حقًّا على العبدِ أنْ يخافَ منه أعظمَ خَوْفٍ، وأنْ يسعَى في الفرارِ منه ومِن طرقِهِ ووسائلِه وأسبابِه، ويسألَ اللهَ العافيةَ منه كما فَعَلَ ذلك الأنبياءُ والأصفياءُ وخيارُ الخلقِ.

وعلى العبدِ أنْ يَجْتهِدَ في تنميةِ الإخلاصِ في قلبِه وتقويتِه؛ وذلك بكمالِ التعلُّقِ باللهِ تألُّهًا وإنابةً وخوفًا ورجاءً وطمعًا وقصدًا لمرضاتِه وثوابِه في كلِّ ما يفعلُه العبدُ وما يترُكُه من الأمورِ الظاهرةِ والباطنةِ، فإن الإخلاصَ بطبيعتِه يدفعُ الشركَ الأكبرَ والأصغرَ، وكلُّ من وقعَ منه نوعٌ من الشركِ فلضعفِ إخلاصِه).(١)

(١) «القول السديد في مقاصد التوحيد» (ص٨٣).

خليل الرّحمن وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام يخاف ويحذر على نفسه وبنيه من الشّرك

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

قال العلاّمة الإمام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: وهذه الآية من أعظم ما يوجب الخوف من الشرك لأن الله تعالى قطع المغفرة عن المشرك، وأوجب له الخلود في النار وأطلق ولم يقيد، ثم قال: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] فخصص وقيد فيما دون الشرك، فهذا الذنب الذي هذا شأنه لا يأمن أن يقع فيه، فلا يرجى له معه نجاة إن لم يتب منه قبل الوفاة.

قوله: "وقال الخليل عليه السلام: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥] أي إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن.

والخلّة أخص من المحبة، ولهذا اختص بها الخليلان إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم.

﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ٣٥﴾ وهذا أيضا يخيف العبد، فإذا كان الخليل إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة واحدة وابتلاه بكلمات فأتمهن وقال: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧﴾ [النجم: ٣٧] وأمر بذبح ولده فامتثل أمر ربه. وكسر الأصنام واشتد نكيره على أهل الشرك. ومع ذلك

يخاف أن يقع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام لعلمه أنه لا يصرفه عنه إلا الله بهدايته وتوفيقه لا بحوله هو وقوته وما أحسن ما قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ فهذا أمر لا يؤمن الوقوع فيه وقد وقع فيه الأذكياء من هذه الأمة بعد القرون المفضلة فاتخذت الأوثان وعبدت. فالذي خافه الخليل عليه السلام على نفسه وبنيه وقع فيه أكثر الأمة بعد القرون المفضلة، فبنت المساجد والمشاهد على القبور، وصرفت لها العبادات بأنواعها، واتخذ ذلك دينا وهي أوثان وأصنام كأصنام قوم نوح واللات والعزى ومناة وأصنام العرب وغيرهم. فما أشبه ما وقع في آخر هذه الأمة بحال أهل الجاهلية من مشركي العرب وغيرهم. بل وقع ما هو أعظم من الشرك في الربوبية مما يطول عده. فذكر عليه السلام السبب الذي أوجب له الخوف عليه وعلى ذريته بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [ابراهيم: ٣٦]، وقد ضلت الأمم بعبادة الأصنام في زمن الخليل وقبله وبعده، فمن تدبر القرآن عرف أحوال الخلق وما وقعوا فيه من الشرك العظيم الذي بعث الله أنبياءه ورسله بالنهي عنه، والوعيد على فعله، والثواب على تركه، وقد هلك من هلك بإعراضه عن القرآن وجهله بما أمر الله به ونهى عنه، نسأل الله الثبات على الإسلام والاستقامة على ذلك إلى أن نلقى الله على التوحيد، إنه ولي ذلك والقادر عليه "ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".[1]

(١) قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين (ص٣٢ -٣٣).

التحذير من الشرك بالله ووجوب الخوف والحذر منه دأب الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين وتابعيهم..

قال الشيخ الربّاني الجليل عبد الرزاق البدر حَفِظَهُ الله: إن الواجب على المسلم أن يعيش حياته خائفا من أن يقع في أيِّ ذنب يغضب الله جل وعلا ويسخطه وأعظم ما يجب أن يخاف منه العبد وأن يحرص على اتقائه وأن يجاهد نفسه على البُعد عنه: الشرك بالله جل وعلا.

نعم، الشرك بالله جلّ وعلا هو أعظم الذنوب وأخطرها وهو أظلم الظلم وأكبر الجرائم وهو الذّنب الذي لا يُغفر، الشرك بالله جلّ وعلا هضم للرّبوبية وتنقص للألوهية وسوء ظن برب البرية جل وعلا الشرك بالله جل وعلا تسوية لغيره به تسوية للناقص الفقير بالغني العظيم جلّ وعلا، إن الشرك بالله جل وعلا ذنب يجب أن يكون خوفُنا منه أعظمَ من خوفنا من أيِّ أمر آخر وثَمَّةَ نصوصٌ ودلائل في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إذا تأمّلها العبد ونظر إليها نظرة المتأمل جلبت لقلبه خوفا من الشرك وحذرا منه وتوقيا للوقوع فيه ومن ذلك قول الله جل وعلا في موضعين من سورة النساء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] فالآية فيها بيان بيِّن أن من لقي الله تبارك وتعالى مشركا به فإنه لا مطمع له في مغفرة الله بل إن مآله ومصيره إلى نار جهنم خالدا

مخلدا فيها لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ۝٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَ لَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٣٧﴾ [فاطر: ٣٦-٣٧]، ينادي المشرك يوم القيامة ويطلب أن يعاد للدنيا مرة ثانية فلا يجاب ليعمل صالحا غير الذي كان يعمل، ويطلب أن يُقضى عليه فيموت فلا يجد جوابا لذلك، ويطلب أن يخفف عنه يوما من العذاب فلا يجد جوابا لذلك وإنما يبقى في نار جهنم مخلدا فيها أبد الآباد بل إن من أعظم الآيات وأشدها على أهل النار قول الله تعالى في سورة عم يقول جل وعلا: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ [النبأ: ٣٠].

وإنّ مما يجلب الخوف من الشرك إلى القلوب المؤمنة أن نتأمل في حال الصالحين وحال الأنبياء المقربين وخوفهم من هذا الذنب العظيم يكفي في هذا المقام أن نتأمّل دعوة إمام الحنفاء إبراهيم الخليل عليه السلام الذي اتخذه الله خليلا وحطّم الأصنام بيده ودعا إلى توحيد الله وقام في هذا الأمر مقاما عظيما قال في دعائه ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣٦﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦]، تأمّل إمام الحنفاء عليه السلام يدعو الله جل وعلا أن

يجنبه وبنيه عبادة الأصنام أي أن يجعله في جانب بعيد عنها فلا يقربها ولا يقع في شيء من وسائلها أو ذرائعها، قرأ إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى هذه الآية وقال: "من يأمن البلاء بعد إبراهيم" أي إذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام خاف من الشرك ودعا الله تعالى بهذه الدعوة العظيمة فكيف يأمن البلاءَ غيرُه.

وقد كان نبينا ﷺ يقول كلَّ يوم ثلاث مرات إذا أصبح وثلاثَ مراتٍ إذا أمسى: **"اللهم إني أعوذ بك من الكفر ومن الفقر وأعوذ بك من عذاب القبر"** يردِّد هذه الدّعوة ثلاث مرّات في الصباح وثلاث مرّات في المساء، وكان يقول في دعائه كما في الصّحيحن وغيرهما: **"اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تُضِلَّني فأنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون"**، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة بل قالت أمُّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان أكثرُ دعاء رسول الله ﷺ: **"اللهمّ يا مصرّف القلوب، صرِّف قلوبنا على طاعتك"** قالت: قلت يا رسول الله: أو إن القلوب لتتقلب قال: **"نعم ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه"**.

ومن الأدلة في هذا الباب ما جاء في المسند وغيره أن النبي ﷺ قال للصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: **"إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"**، فسألوا عنه

فقال: "**الرياء**".

قال العلماء: إذا كان النبي ﷺ خاف على الصحابة - وهم من هم في الطاعة والتوحيد - من الشرك الأصغر فكيف الشأن بمن هو دونهم ومن لم يبلغ عُشْرَ معشارهم في التوحيد والعبادة؟! بل جاء في الأدب المفرد بسند حسن بما له من شواهد أن النبي ﷺ قال: "**لَلشّرك فيكم أخفى من دبيب النّمل**" فقال بعض الصحابة: أوليس الشرك يا رسول الله أن يتخذ ند مع الله وهو الخالق فقال ﷺ: "**والذي نفسي بيده لَلشرك فيكم أخفى من دبيب النمل**" ثم قال ﷺ: "**أولا أدلكم على شيء إذا قلتموه أذهب الله عنكم قليل الشرك وكثيره**" قالوا: بلى يا رسول الله قال: " **تقولون: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم ونستغفرك لما لا نعلم**" وهذه دعوة ينبغي أن نحفظها ونحافظ عليها.

ومما يجلب الخوف من الشرك ما ثبت في أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ من إخباره أن من الأمّة مَنْ سيرجعون إلى عبادة الأوثان وقد جاء في هذا أحاديث عديدة:

منها ما ثبت في سنن أبي داود وغيره عنه ﷺ أنه قال: "**لا تقوم السّاعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**".

وجاء في حديث آخر أنه ﷺ قال: "**لا تقوم الساعة حتى تضطرب**

إليات نساء دَوْس على ذي الخَلَصَة". أي صنم من الأصنام.

وجاء عنه ﷺ أنه قال: **"لتتَّبعن سَنن من كان قبلكم شبرا شبرا ذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه"**.

كل ذلك قاله ﷺ نصحا للأمّة وتحذيرا لها من هذا الذنب العظيم والجرم الوخيم أعاذنا الله جميعا منه.

ومما يجلب الخوف من الشرك أن المشرك - عياذاً بالله - ليس بينه وبين النار إلا أن يموت وتأمّلوا في ذلك قول النبي ﷺ والحديث في صحيح البخاري: **"من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار"**.

قال العلماء رحمهم الله: في هذا الحديث دلالة على أن النار قريبة من المشرك أي ليس بينه وبينها إلا أن يموت.

كل هذه الدلائل تدعوا المؤمن إلى أن يخاف من الشرك خوفا عظيما ثم إن هذا الخوف يحرك في قلبه معرفة هذا الذّنب الوخيم ليكون منه على حذر وليتقيه في حياته كلها ولهذا جاء في صحيح البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: **"كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافته"**.

ولقد دلت نصوص الكتاب والسنة أن الشرك نوعان أكبر وأصغر وهما يختلفان في الحد والحكم أما حد الشرك الأكبر فهو: أن يُسويَ غيرَ الله بالله سواء في الربوبية أو الأسماء والصفات أو الألوهية فمن سوَّى غير الله

بالله في شيء من خصائص الله فإنه يكون بذلك أشرك بالله شركا أكبر ينقل صاحبَه من ملة الإسلام.

أمّا حدُّ الشرك الأصغر فهو ما جاء في النصوص وصفه بأنه شرك ولا يبلغ حد الشرك الأكبر، كالحلف بغير الله وقول ما شاء الله وشئت، وقول: لولا كذا لكان كذا وكذا ونحو ذلك من الألفاظ التي فيها شرك لا يقصده قائلها.

وأمّا من حيث الحكم في الآخرة فإنهما يختلفان فالشرك الأكبر صاحبه مخلد في النار أبد الآباد لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها، وأما الشرك الأصغر فشأنه دون ذلك وإن كان في وضعه هو أكبر من الكبائر كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "**لأن أحلف بالله كاذبا أحبُّ إلي مِن أن أحلف بغيره صادقا**" لأن في الحلف بغير الله صادقا شرك بالله عز وجل وفي الحلف به كاذبا وقوع في كبيرة الكذب ولا تقارن الكبيرة بالشرك وهذا من فقه الصحابة رضي الله عنهم.

ثم إنّ هذه المسألة أعني مسألة الشرك ومعرفته هي من أعظم الأمور التي ينبغي أن نُعنى بها ولما جهِل كثيرٌ من الناس هذا الأمر العظيم وقعوا في أعمال وأمور هي من الشرك يجهلون حقيقة أمرها وربما لُبِّس على بعضهم بأسماء ونحوها صُرفوا بها عن العبادة الخالصة لله إلى أنواع من الأعمال المحرمة بل إلى أنواع من الأعمال الشركية عياذا بالله.

وإنا لنسأل الله تبارك وتعالى أن يُبَصِّرنا جميعا بدينه وأن يوفقنا جميعا لاتباع سنة نبيه عليه الصلاة والسلام وأن يهدينا إليه صراطا مستقيما وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.(١)

(١) https://al-badr.net/muqolat/2499

الشّرك هو الذّنب الوحيد الذي من مات عليه لا يغفر اللّه له و يحرم عليه الجنّة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء: ١١٦].

من مات على الشّرك لا خلاص ولا نجاة له من الهلاك المحقّق السّرمدي

ولذلك لا يكون لمن مات على الشرك خلاص من الهلاك المحقق، قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ۝٣١﴾ [الحج: ٣٠ـ٣١].

قال العلامة الإمام المفسر الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** "بيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة: أنّ من أشرك بالله غيره أي ومات ولم يتب من ذلك فقد وقع في هلاك لا خلاص منه بوجه ولا نجاة معه بحال، لأنه شبهه بالذي خر - أي سقط من السماء إلى الأرض فتمزقت أوصاله، وصارت الطير تتخطفها وتهوي بها الريح فتلقيها في مكان سحيق: أي محل بعيد لشدة هبوبها بأوصاله المتمزقة، ومن كانت هذه صفته فإنه لا يرجى له خلاص ولا يطمع له في نجاة، فهو هالك لا محالة، لأن من خر من السماء إلى الأرض لا يصل الأرض عادة إلا متمزق الأوصال، فإذا خطفت الطير أوصاله وتفرق في حواصلها، أو ألقته الريح في مكان بعيد، فهذا هلاك محقق لا محيد عنه. اهـ."

المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد

قال العلامة الإمام السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

يخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمتُه مغفرتَه. فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسبابا كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين. ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد. وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئا، وما لهم يوم القيامة ﴿ مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠١] ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ أي: افترى جرما كبيرا، وأي: ظلم أعظم ممن سوى المخلوق -من تراب، الناقص من جميع الوجوه، الفقير

بذاته من كل وجه، الذي لا يملك لنفسه- فضلا عمن عبده -نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا- بالخالق لكل شيء، الكامل من جميع الوجوه، الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع، الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا فمنه تعالى، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟ ولهذا حتم على صاحبه بالخلود بالعذاب وحرمان الثواب ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ﴾ وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب، وأما التائب، فإنه يغفر له الشرك فما دونه كما قال تعالى: ﴿۞قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ أي: لمن تاب إليه وأناب.

في نبوة جميع الأنبياء أنَّ الشرك محبطٌ لجميع الأعمال

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ۝٦٤ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ۝٦٦﴾ [الزمر ٦٤ – ٦٦].

قال العلامة الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: ﴿ قُلْ﴾ يا أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير اللّه: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ أي: هذا الأمر صدر من جهلكم، وإلا فلو كان لكم علم بأن اللّه تعالى الكامل من جميع الوجوه، مسدي جميع النعم، هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصا من كل وجه، لا ينفع ولا يضر، لم تأمروني بذلك.

وذلك لأن الشرك باللّه محبط للأعمال، مفسد للأحوال، ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ من جميع الأنبياء. ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ هذا مفرد مضاف، يعم كل عمل، ففي نبوة جميع الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأعمال، كما قال تعالى في سورة الأنعام لما عدد كثيرا من أنبيائه ورسله قال عنهم: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟

يَعۡمَلُونَ﴿٨٨﴾﴾. ﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ دينك وآخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، ويستحق العقاب والنكال. ثم قال: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك، وأخبر عن شناعته، أمره بالإخلاص فقال: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ أي: أخلص له العبادة وحده لا شريك له، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ للّه على توفيق اللّه تعالى،.فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يشكر ويثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من اللّه تعالى والشكر للّه عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلا، فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر.

الشّرك محبطٌ لعمل الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام ـ وحاشاهم من ذلك ـ فكيف بمن دونهم؟!!

إن الله تعالى لما ذكر الأنبياء في سورة الأنعام قال بعد أن أثنى عليهم: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

والأنبياء أعظم الناس نفعا للناس، فكيف بمن هو دون الأنبياء؟!

قال العلامة الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تيسيره: وَلَوْ أَشْرَكُوا - **على الفرض والتقدير**: **لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** - فإن الشرك محبط للعمل، موجب للخلود في النار، فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار، لو أشركوا - وحاشاهم - لحبطت أعمالهم، فغيرهم أولى. اهـ.

وخاطب الله تعالى أفضل رسله ﷺ فقال: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٤-٦٥].

قال العلامة الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وذلك لأن الشرك بالله محبط للأعمال، مفسد للأحوال، ولهذا قال: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ من جميع الأنبياء: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ - هذا مفرد مضاف يعم كل عمل، ففي نبوة جميع الأنبياء: أن الشرك محبط لجميع

الأعمال.. ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ - دينك وآخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، ويستحق العقاب والنكال. اهـ.

الشّرك بالله هضم لحق الربوبيّة وتنقيص لعظمة الإلهيّة وسوء ظن بربّ العالمين

قال العلاّمة الإمام الربّاني ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمقصود: أن الشرك لما كان أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنكر المنكرات، كان أبغض الأشياء إلى الله تعالى وأكرهها له، وأشدها مقتا لديه. ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، وأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس، ومنعهم من قربان حرمه، وحرم ذبائحهم ومناكحتهم، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعداء له سبحانه ولملائكته ورسله وللمؤمنين، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم، وأن يتخذوهم عبيدا، وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: ٦].

فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الإشراك، فإنهم ظنوا به ظن السوء، حتى أشركوا به، ولو أحسنوا به الظن لوحّدوه حق توحيده، ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره

فى ثلاثة مواضع من كتابه وكيف يقدره حق قدره من جعل له عدلا وندا، يحبه، ويخافه، ويرجوه، ويذل له، ويخضع له، ويهرب من سخطه، ويؤثر مرضاته؟ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١﴾ [الأنعام: ١]، أي يجعلون له عَدْلا فى العبادة والمحبة والتعظيم، وهذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين الله وبين آلهتهم، وعرفوا، وهم في النار، أنها كانت ضلالا وباطلا، فيقولون لآلهتهم وهم في النار معهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩٨﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨]، ومعلوم أنهم ما سووهم به في الذات والصفات والأفعال، ولا قالوا: إن آلهتهم خلقت السماوات والأرض، وأنها تحيي وتميت، وإنما سووها به في محبتهم لها، وتعظيمهم لها، وعبادتهم إياها، كما ترى عليه أهل الإشراك ممن ينتسب إلى الإسلام. ومن العجب أنهم ينسبون أهل التوحيد إلى التنقص بالمشايخ والأنبياء والصالحين، وما ذنبهم إلا أن قالوا: إنهم عبيد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وأنهم لا يشفعون لعابديهم أبدا، بل قد حرم الله شفاعتهم لهم، ولا يشفعون لأهل التوحيد إلا بعد إذن الله لهم فى الشفاعة، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله

لله، والشفاعة كلها له سبحانه، والولاية له، فليس لخلقه من دونه ولى ولا شفيع.[١]

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٦٠ -٦١).

المشرك أشقى البريّة لتنقصه لربّ البريّة

قال العلاّمة الإمام الربّاني ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه، والتنقص لازم له ضرورة، شاء المشرك أم أبى، ولهذا اقتضى حمده سبحانه وكمال ربوبيته أن لا يغفره، وأن يخلد صاحبه فى العذاب الأليم، ويجعله أشقى البرية. فلا تجد مشركا قط إلا وهو متنقص لله سبحانه، وإن زعم أنه يعظمه بذلك. كما أنك لا تجد مبتدعا إلا وهو متنقص للرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة. فإنه يزعم أنها خير من السنة وأولى بالصواب، أو يزعم أنها هي السنة، وإن كان مستبصرا في بدعته فهو مشاق لله ورسوله.

فالمتنقصون المنقوصون عند الله تعالى ورسوله وأوليائه: هم أهل الشرك والبدعة...[1]

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١ / ٦٢).

الشّرك أنجس النجاسة

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

قال العلاّمة الإمام الربّاني ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ونجاسة الشرك عينية، ولهذا جعل سبحانه الشرك نجَساً بفتح الجيم، ولم يقل: إنما المشركون نجِس بالكسر، فإن النَّجَس عين النجاسة، والنجِس بالكسر المتنجِّس، فأنجس النجاسة الشرك، كما أنه أظلم الظلم".(١)

لماذا الشرك بالله هو أعظم الذنوب

والشركُ أعظمُ الذنوب؛ وذلك لأمور:

١- لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فمن أشرك مع الله أحدًا فقد شبهه به، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

والظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه، فمن عبد غير الله فقد وضع العبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها، وذلك أعظم الظلم.

٢- أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

(١) إغاثة اللهفان (١ / ٩٨).

يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

٣- أن الله أخبر أنه حرَّم الجنة على المشرك، وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

٤- أنَّ الشركَ يُحبطُ جميعَ الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

٥- أنَّ المشرك حلالُ الدم والمال، قال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ﴾ [التوبة: ٥]. وقال النبي ﷺ: (**أمرتُ أن أقاتلَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**).

٦- أنَّ الشركَ أكبرُ الكبائر، قال ﷺ: (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...**) الحديث.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "أخبر سُبحانه أن القصد بالخلق والأمر: أن يُعرفَ بأسمائه وصفاته، ويُعبدَ وحده لا يُشرك به، وأن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ

ﭐلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الحديد: ٢٥].

فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله، وأنزلَ كُتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل، ومن أعظم القسط: التوحيد، وهو رأس العدل وقوامه؛ وإن الشرك ظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣].

فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل؛ فما كان أشد منافاةً لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر". إلى أن قال: "فلما كان الشرك منافيًا بالذات لهذا المقصود؛ كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرم الله الجنة على كل مشرك، وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخذوهم عبيدًا لهم لما تركوا القيام بعبوديته، وأبى الله سبحانه أن يقبل لمشرك عملًا، أو يقبلَ فيه شفاعة، أو يَستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقبل له فيها رجاء؛ فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله، حيث جعل له من خلقه ندًّا، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وإن كان المشرك في الواقع لم يظلم ربَّه، وإنَّما ظلَمَ نفسه" انتهى.

٧- أنَّ الشركَ تنقص وعيب نزه الرب سبحانه نفسه عنهما، فمن أشرك بالله فقد أثبت لله ما نزه نفسه عنه، وهذا غاية المحادَّةِ لله تعالى، وغاية المعاندة والمشاقَّة لله.(١)

---

(١) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك (١/ ٧٤ - ٧٦).

آثار الشرك بالله وأضراره

١- ضعف تعظيم الربّ تعالى ومحبته في قلب صاحبه: ذكر العلماء في وصف حال المشركين أنهم يحبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله، وكثير منهم - بل أكثرهم - يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده، ويغضبون لمنتقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد ربَّ العالمين، وإذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوداتهم غضبوا غضبَ الليث إذا حرَد، وإذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئاً رضوا عنه، ولم تتنكر له قلوبهم... فهذه حال من اتخذ من دون الله ولياً، ويزعم أنه يقربه إلى الله.[1]

٢- سقوط صاحبه من أوج العزّة والكرامة إلى حضيض السفول والقلق والرذيلة: قال تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ [الحج: ٣١].

قال العلامة الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "تأمل هذا المثل ومطابقته لحال من أشرك بالله وتعلق بغيره، ويجوز لك في هذا التشبيه أمران:

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦٨- ٣٦٩).

أحدهما: أن تجعله تشبيها مركّبا، ويكون قد شبه من أشرك بالله وعبد معه غيرَه برجل قد تسبّب إلى هلاك نفسه هلاكا لا يُرجى معه نجاة، فصوّر حاله بصورة حال من خرّ من السماء فاختطفته الطير في الهوى فتمزّق مزقا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة، وعلى هذا لا تنظر إلى كلّ فرد من أفراد المشبه ومقابله من المشبه به.

والثاني: أن يكون من التشبيه المفرّق، فيقابَل كل واحد من أجزاء الممثّل بالممثّل به، وعلى هذا فيكون قد شبّه الإيمان والتوحيد في علوّه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه، فمنها هبط إلى الأرض، وإليها يصعد منها، وشبّه تاركَ الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة والطير الذي تخطف أعضاءه وتمزقه كلّ ممزق بالشياطين التي يرسلها الله سبحانه وتعالى عليه وتؤزّه أزّا وتزعجه وتقلقه إلى مظان هلاكه، فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه كما أن لكلّ طير مزعة من لحمه وأعضائه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء".(١)

٣ - **نجاسة صاحبه**: قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٨٠).

نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

قال العلامة الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ونجاسة الشرك عينية، ولهذا جعل سبحانه الشرك نجَساً بفتح الجيم، ولم يقل: إنما المشركون نجِس بالكسر، فإن النَّجَس عين النجاسة، والنجِس بالكسر المتنجِّس، فأنجس النجاسة الشرك، كما أنه أظلم الظلم."(١)

٤- أنه يوجب لصاحبه عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والمقصود أن الشرك لما كان أظلم الظلم وأقبح القبائح وأنكر المنكرات كان أبغض الأشياء إلى الله وأكرهها له وأشدها مقتاً لديه، ورتّب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، وأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس، ومنعهم من قربان حَرَمِه، وحرّم ذبائحهم ومناكحتهم، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعداءً له سبحانه ولملائكته ورسله وللمؤمنين، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم وأن يتخذوهم عبيداً، وهذا لأن الشرك هضم لحقّ الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية."(٢)

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٩٨).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٩٩).

٥ - أن المتلبّس به يسيء الظن بربّ العالمين ويتنقصه تعالى: قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: ٦].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الإشراك، فإنهم ظنّوا به ظنّ السوء حتى أشركوا به، ولو أحسنوا به الظنّ لوحّدوه حقّ توحيده".[1]

وقال أيضـًا: "فالشرك ملزوم لتنقّص الربّ سبحانه، والتنقّص لازم له ضرورة، شاء المشرِك أم أبى، ولهذا اقتضى حمدُه سبحانه وكمال ربوبيته أن لا يغفره، وأن يخلّدَ صاحبَه في العذاب الأليم ويجعله أشقى البرية، فلا تجد مشركـًا إلا وهو متنقّص لله سبحانه."[2]

٦ - أن التلبس به يوقع الفرد والمجتمع في ظلمات متراكمة: إن أكبر الكبائر الإشراك بالله تعالى، ذلك لأن الشرك ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض، وحجب متلاطمة لا يقرّ لها قرار، فهو يجعل الإنسان عبداً للمخلوق، وهو لا يعبد المخلوق إلا جلبـًا لفائدة أو دفعـًا لضرر، فهو في الواقع عبد لمصلحته، وبالتالي هو عبد لنفسه، وعبادة النفس معناها أن

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٩٩).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ١٠١).

الشخص غير صالح ليكون عضواً كريمًا عاملاً على الرقي بالجماعة الإنسانية محققًا لسعادتها، بل هو على الضد من ذلك يكون عدواً للإنسانية، هادمًا لأركانها، ساعيًا في شقائها دون أن يدري؛ إذ إن الشرك يقلب الأوضاع، فيجعل الحقّ باطلاً، والباطل حقًا، والخالق مخلوقًا، والمخلوق خالقًا، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تبنى قواعد الجماعات على أسس سليمة، ذلك لأن العلاقات الإنسانية تكون مبنية على مستلزمات الشرك، وهي الجشع والتربص والحقد والكذب وسفك الدماء والعدوان والاستعباد والإذلال.

كل ذلك يؤدي إلى انفراط نظام العقد الإنساني الذي يتحوّل إلى فوضى لا ضابط لها ولا رابط، يسودها الخوف، ويخيّم عليها القلق، وتتخلّلها الحروب التي لا تنتهي، والتي تسببها الأطماع التي لا تنتهي، وحينئذ تصبح الحياة شقاء لا سعادة فيه، وجحيمًا لا يطاق، يعذّب فيه البشر بعضهم بعضًا. (١)

---

(١) دعوة التوحيد، لمحمد خليل هراس (٧٢- ٧٣).
https://www.ahlalhdeeth.com/vb/archive/index.php/t-345279.html

من صور وأبواب ومداخل الشّرك التي تقدح في توحيد العبد وتخلّ به فالحذر الحذر

كما يجب علينا تحقيق التوحيد وتوفير شروط لا إله الا الله، يجب علينا أيضا أن نخاف من الشرك ونحذره بجميع أنواعه وأبوابه ومداخله أكبره وأصغره فإن أعظم الظلم الشرك، والله يغفر كل شئ إلا الشرك ومن وقع فيه فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وإليك يا أخي بعض ما ينافي التوحيد أو يخل به كما ذكرها أهل العلم لتكون على حذر منها: (١)

١- لباس الحلقة والخيط أيـًا كان نوعها من صفر أو نحاس أو حديد أو جلد لرفع بلاء أو دفعه فهو من الشرك.

٢- الرقى البدعية والتمائم، والرقى البدعية هي المشتملة على الطلاسم والكلام غير المفهوم والاستعانة بالجن في معرفة المرض أو فك السحر أو وضع التمائم وهو ما يعلق على الإنسان والحيوان من خيط أو ربطة سواء كان مكتوبـًا من الكلام البدعي الذي لم يرد في القرآن والسنة

(١) https://www.ahlalhdeeth.com/vb/archive/index.php/t-345279.html

أو حتى الوارد فيهما – على الصحيح – لأنها من أسباب الشرك قال الرسول ﷺ: (**إن الرقى – أي الشركية – والتمائم والتولة شرك**). رواه احمد وأبو داود.

ومن ذلك تعليق ورقة أو قطعة من النحاس أو الحديد في داخل السيارة فيها لفظ الجلالة أو آية الكرسي أو وضع مصحف في داخل السيارة واعتقاد أن ذلك يحفظها ويمنع عنها الشر من عين أو نحوها ومن ذلك وضع قطعة على شكل كف أو مرسوم فيها عين فلا يجوز وضعه حيث يعتقد فيه دفع العين قال ﷺ: (**من تعلق شئ وكل إليه**). رواه أحمد والترمذي والحاكم.

٣- ومما يخل بالتوحيد التبرك بالأشخاص والتمسح بهم وطلب بركتهم أو التبرك بالأشجار والأحجار وغيرها وحتى الكعبة فلا تمسح بها تبركًا، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يقبل الحجر الأسود: "**إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك**".

٤- ومما ينافي التوحيد الذبح لغير الله كالأولياء والشياطين والجن لجلب نفعهم أو ضرهم فهذا من الشرك الأكبر، وكما لا يجوز الذبح لغير الله، لا يجوز الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله ولو كان قصد الذابح أن يذبح لله عز وجل وذلك سداً لذريعة الشرك.

٥- ومن ذلك النذر لغير الله فالنذر عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله سبحانه وتعالى.

٦- ومن ذلك الاستعانة والاستعاذة بغير الله، قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: (**وإذا استعنت فاستعن بالله وإذا سألت فسأل الله**...) وبذلك نعلم المنع من دعاء الجن.

٧- ومما يخل بالتوحيد الغلو بالأولياء والصالحين، ورفعهم عن منزلتهم وذلك بالغلو في تعظيمهم أو رفع منزلتهم إلى منزلة الرسل أو ظن العصمة فيهم.

٨- ومما ينافي التوحيد الطواف بالقبور، فهو من الشرك، ولا يجوز الصلاة عند القبر لأنها وسيلة إلى الشرك فكيف بالصلاة لها وعبادتها والعياذ بالله؟!

٩- ولحماية التوحيد جاء النهي عن البناء على القبور وجعل القباب والمساجد عليها وتجصيصها.

١٠- ومما ينافي التوحيد، السحر وإتيان السحرة والكهنة والمنجمين ونحوهم، فالسحرة كفار ولا يجوز الذهاب إليهم ولا يجوز سؤالهم، أو تصديقهم وإن تسموا بالأولياء والمشايخ ونحو ذلك.

١١- مما يخل بالتوحيد الطيرة وهي التشائم بالطيور أو بيوم من الأيام أو بشهر أو بشخص، كل ذلك لا يجوز، فالطيرة شرك كما جاء بالحديث.

١٢- ومما يخل بالتوحيد التعلق بالأسباب كالطبيب والعلاج والوظيفة وغيرها وعدم التوكل على الله، والمشروع هو أن نبذل الأسباب كطلب العلاج والرزق ولكن مع تعلق القلب بالله لا بهذا السبب.

١٣- ومما يخل بالتوحيد التنجيم واستعمال النجوم في غير ما خلقت له، فلا تستخدم في معرفة المستقبل والغيب وكل هذا لا يجوز.

١٤- ومن ذلك الاستسقاء بالنجوم والأنواء والمواسم واعتقاد أن النجوم هي التي تقدم المطر أو تأخره، بل الذي ينزل المطر ويمنعه هو الله فقل: "**مطرنا بفضل الله ورحمته**".

١٥- ومما ينافي التوحيد صرف شئ من أنواع العبادة القلبية لغير الله مثل صرف المحبة المطلقة أو الخوف المطلق للمخلوقات.

١٦- ومما يخل بالتوحيد الأمن من مكر الله وعذابه أو القنوط من رحمة الله، فلا تأمن مكر الله ولا تقنط من رحمته، فكن بين الخوف والرجاء.

١٧- ومما يخل بالتوحيد عدم الصبر على أقدار الله والتجزع ومعارضة القدر بمثل قولهم "**لماذا يا الله تفعل بي كذا أو بفلان كذا أو لماذا كل هذا يا الله**". ونحو ذلك من النياحة، وشق الجيوب ونثر الشعر.

١٨- ومن ذلك الرياء والسمعة وأن يريد الإنسان بعمله الدنيا.

١٩- ومما ينافي التوحيد طاعة العلماء والأمراء وغيرهم في تحريم

الحلال أو تحليل الحرام، فإن طاعتهم نوع من الشرك.

٢٠- ومما يخل بالتوحيد قول "**ما شاء الله وشئت**" أو قول "**لولا الله وفلان**" أو "**توكلت على الله وفلان**" فالواجب استعمال "**ثم**" في جميع ما سبق لأمره ﷺ: (**أنهم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت**). رواه النسائي.

٢١- ومما يخل بالتوحيد سب الدهر والزمان والأيام والشهور.

٢٢- ومما ينافي التوحيد، السخرية بالدين أو الرسل أو القرآن أو السنة، أو السخرية بأهل الصلاح والعلم، لما يحملونه من السنة وظهورها عليهم من إعفاء اللحية أو السواك أو تقصير الثوب عن الكعب، ونحو ذلك.

٢٣- ومنها التسمية بـ "**عبد النبي**" أو "**عبد الكعبة**" أو "**عبد الحسين**" وكل هذا لا يجوز بل تكون العبودية لله وحده كقولنا "**عبد الله**" و"**عبد الرحمن**".

٢٤- ومما يخل بالتوحيد تصوير ذوات الأرواح ثم تعظيم هذه الصورة وتعليقها على الجدار وفي المجالس وغير ذلك.

٢٥- ومما ينافي التوحيد وضع الصلبان ورسمها أو تركها موجودة على اللباس إقراراً لها والواجب كسر الصليب أو طمسه.

٢٦- ومما ينافي التوحيد موالاة الكفار والمنافقين بتعظيمهم

واحترامهم وإطلاق لفظ "**السيد**" عليهم والحفأوة بهم ومودتهم.

٢٧- ومما ينافي التوحيد ويناقضه، الحكم بغير ما أنزل الله وتنزيل القوانين منزلة الشرع الحكيم، باعتقاد أحقية القانون في الحكم وأن القانون مثل الشرع أو أنه أحسن من الشرع وأنسب للزمن، ورضى الناس بذلك داخل في هذا الحكم.

٢٨- مما يخل بالتوحيد الحلف بغير الله مثل الحلف بـ "**النبي**" أو "**الأمانة**" أو غير ذلك، قال النبي ﷺ: (**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**). رواه الترمذي وحسنه.

مظاهر الشرك

انتشار الأضرحة في البلاد الإسلامية

إن أضرحة القبور منتشرة في بلاد المسلمين بصورة مذهلة وشيء مخيف، فمجتمعاتنا تعج وتضج بها.

١- فالأضرحة التي تنتشر في مدن مصر فقط نحو ستة الآف ضريح مفرقة في عدة مناطق، وعليه فمن الصعب أن يمر يوم في السنة دون أن يكون هناك احتفال بمولد ولي في مصر، حضر في مولد البدوي فقط عام ١٩٩٦م قرابة ثلاثة ملايين إنسان من السنة والشيعة، وهو أكثر من عدد الحجاج الذين ذهبوا لأداء فريضة الحج لذلك العام.

٢- وفي الشام قدر مائة وأربعة وتسعين ضريحاً في دمشق وحدها فقط، المشهور منها قدر أربعة وأربعون، منها قبر الوثن الكبير: (محي الدين ابن عربي) الذي يزوره الناس من كل القارات.

٣- وفي العراق في بغداد وحدها في أوائل القرن الرابع عشر كان يوجد أكثر من مائة وخمسين جامعاً قل أن يخلو جامع من ضريح.

وفي الموصل وحدها يوجد أكثر من ستة وسبعين ضريحاً مشهوراً كلها داخل جوامع، وهذا كله بخلاف الأضرحة الموجودة في المساجد والأضرحة المفردة.

٤- وفي اليمن كثير من الأضرحة والقبور، ففي عدن أضرحة منها قبر العيدروس يزوره كل سنة الآلاف من الناس من كل مكان من اليمن وخارجها، ومن عجيب ما يذكر أنه اتصل مرة رجل من أهل مكة برجل من أهل عدن وكلاهما من أهل الزيارات، فسأله الذي في مكة عن زيارة العيدروس، فأخبره من في عدن عن الجموع التي حضرت في الزيارة، فقال له صاحب مكة: (يا ليتني كنت معكم !!!)، ومثلها تعز وإب وضواحي صنعاء وصعدة وتهامة وشبوة وغيرها من المناطق، ومنها حضرموت - ولاسيما تريم - فإن ما يحصل عند بعض قبورها من الطقوس وأصول الزيارة ما يجعل السامع والمشاهد يحكم بأنهم يحجون الأضرحة حجـًا، ويعتقدونها منسكـًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "**إغاثة اللهفان**": (وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجـًا ووضعوا له مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابـًا وسماه: (**مناسك حج المشاهد**) مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الاسلام ودخول في دين عباد الأصنام).

٥- وفي الآستانة عاصمة السلطنة العثمانية يوجد أربعمائة وواحد وثمانون ضريحـًا، لا يكاد يخلو جامع فيها من ضريح، أشهرها الجامع الذي بني على القبر المنسوب لأبي أيوب الأنصاري في الآستانة (**وهي**

القسطنطينية).

٦- وفي الهند يوجد أكثر من مائة وخمسين ضريحًا مشهوراً يقصدها الآلاف من الناس.

وهذا غير الأضرحة الموجودة في أوزبكستان، وهي أضرحة ومزارات منسوبة إلى الصحابة والمشايخ ورجال العلم، وفي إفريقيا ومنها السودان وأريتيريا والسنغال وغيرها.

فساد العقائد والأخلاق

وفي كثير من البلاد الإسلامية يأتي الناس من كل فج عميق إلى هذه الأضرحة بعد ترقب كبير لأيام الزيارة والتي تسمى بالموالد، فمنهم من يأتي من بلاد بعيدة ومنهم من يأتي من بلاد قريبة، يأتون حاملين معهم أحسن ما يملكون من الأغنام والأبقار والسكر والشاي والبن والشمع والزيت وغير ذلك من أنواع النذور، ومنهم من يأتي بجزء من مهر ابنته للولي، كل هذه القرابين يقدمونها لأصحاب هذه القبور، فيذبحون الأنعام ويطبخون الطعام ويصبون أصناف الألبان على الأضرحة، ويمكثون الأيام والليالي عندها.

وعند كثير من هذه الأضرحة وقريب منها حرم كبير يلجأ إليه الخائفون، ويهرب إليه المجرمون ليأمنوا فيها من الخوف والمطاردة، يخلع الناس فيه نعالهم فلا يدخلون بها، كالقبر المنسوب إلى النبي هود كذبًا فعنده تحصل من الشركيات ما يبكي له قلب الموحد، ومن العجائب أن الزوار يجدون لوحة كتب عليها: **(الدخول للمسلمين فقط)** مضاهاة بالحرم، ولها سدنة يقومون بتطويف الزائرين على ضواحي الضريح، وفي بعض البلاد كبنجلاديش هناك سدنة لا يلبسون إلا القليل من الثياب التي تستر عوراتهم فقط، ويطلقون شعورهم ولحاهم

وشواربهم دون غسل أو حلق لما لابد له من حلق، ولا تنظيف، ثم تختلط النساء ويعاشرهم هؤلاء الرجال معاشرة الأزواج طلبًا للبركة.

ثم يقومون بالطواف بها، وبأخذ أتربتها والتبرك بها وتعفير الوجوه به، ويقومون بقطع ما يقدرون عليه من خرقها، ثم التمسح بجدران الضريح والسياج المحيط به ثم يمسحون أيديهم بأجسادهم.

وتلقى هناك المحاضرات، والندوات تلبيسًا وتضليلاً، وهذا أسوأ بكثير مما لو كانت بدون ذلك، لأنهم يستدلون على هذا الباطل، ويلبسونه بما يشبه ثوب الحق.

ومن الفساد العقدي ما يفعله بعض الناس في بعض قرى مصر من تسييب بعض العجول للولي الفلاني، فلا يزال سائبًا يرعى في حقول البلد يأكل ما يشتهيه، ولا يقدر أحد على أن يتعرض له، أو يطرده من المراعي خوفًا من الولي الذي هو في حمايته حتى يأتي مولده فيأخذه السدنة سمينًا معلوفًا ويذبحونه لأنفسهم.

وأما الفساد الأخلاقي من الزنا واللواط فشيء لا نقدر على وصفه من التفاصيل، والتي سببها الاختلاط بين الرجال والنساء، وحصول الرقص بين الجنسين والغناء من الطرفين، نسأل الله السلامة والعافية.

على أن أحسنهم حالاً هو من يجامع زوجته بين هذه الأضرحة بدعوى نيل البركة.

وكثير من هذه الزيارات تحميها بعض الحكومات لأنها تدر عليها الكثير من الأرباح المالية الهائلة، حيث تقوم بتنظيم سير الناس وحركة السيارات.

تعلق القلوب بهذه الأوثان وأسبابه

١- خضوع القلوب عند هذه الأوثان له صور كثيرة: فمنهم من يقوم بالإلحاح على المقبور بالدعاء ولو أدى إلى البكاء والصريخ والعويل، ومنهم من يسجد لها من دون الله، ومنهم من يطيل العكوف عندها ولو أيامًا كثيرة، ومنهم من يرمي العرائض - وهي شكاوي مكتوبة – على هؤلاء المقبورين، ومنهم من بلغ التعلق ببعضهم ما دفعه أن يقول: (**دعوت الله ست سنوات ليهب الولد، فلم أرزق، فدعوت شيخي فلانًا فرزقت بتوأمين**) !! ومنهم من يحلف بأسماء أوليائهم تعظيمًا ولا يحلف به إلا صادقًا، في الوقت الذي يحلف بالله ولو كاذبًا، ولذلك لو يحلف المرء بالله سبحانه وتعالى لا يصدق عند هؤلاء القبوريين حتى يحلف بالولي الفلاني كما ذكر الصنعاني نحوه في "**تطهير الاعتقاد**".

ومنهم من يعتقد أن مدينته محروسة بأولياء من جنس (**حرس الحدود**)، فقد قال بعضهم: (**إن أرض الشام يحرسها من الآفات أربعة من الأولياء الذين يتصرفون في قبورهم !!**).

وقد قرأت لصحفي في جريدة مشهورة عندنا في **عدن** يقول: (**إن عدن محروسة بالعيدروس**) !! والله ﷻ يقول: (**قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون**).

ويزيد الطين بلة أن بعض فقهاء الشريعة متأثرون بمثل هذه الوثنية، فقد ذكروا أن هناك من مشايخ بعض الجامعات الموجودة في بلاد المسلمين لما رأوا أن المشيخة نزعت من فقهاء الشافعية ذهبوا إلى قبر الشافعي فعكفوا عنده حتى رجعت إليهم المشيخة.

ومن ذلك أن هؤلاء الأولياء ملاذ الكثير من الناس عند نزول الضرر، حتى قال قائلهم:

يــا خــائفين مــن التتــر لــوذوا بقبــر أبــي عمــر

لــوذوا بقبــر أبــي عمــر ينجــيكم مــن الضــرر

وهناك من الأضرحة ما هي مدفونة في المساجد أو قريبة منها، فيمر بها العوام بعد كل فريضة.

٢- وقد ذكر ابن القيم في "**إغاثة اللهفان**"(١) أسباب تعلق هؤلاء بهذه الأضرحة فقال: "فإن قيل: فما الذي أوقع عباد القبور في الافتتان بها مع العلم بأن ساكنيها أموات لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً؟

قيل: أوقعهم في ذلك أمور، منها: الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله بل جميع الرسل من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك.

ومنها: أحاديث مكذوبة مختلقة وضعها أشباه عباد الأصنام من

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٥).

المقابرية على رسول الله تناقض دينه وما جاء به: كحديث: (**إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور**) وحديث: (**لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه**) وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام وضعها المشركون وراجت على أشباههم من الجهال الضلال والله بعث رسوله يقتل من حسن ظنه بالأحجار وجنب أمته الفتنة بالقبور بكل طريق كما تقدم.

ومنها: حكايات حكيت لهم عن تلك القبور: أن فلانا استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلصه منها وفلانا دعاه أو دعا به في حاجة فقضيت له، وعند السدنة والمقابرية من ذلك شيء كثير يطول ذكره وهم من أكذب خلق الله تعالى على الأحياء والأموات" أ.هـ **باختصار**.

أكثر هذه الأضرحة مكذوبة ولا حقيقة لها

وأكثر هذه القبور والأضرحة لا حقيقة لها بل هي مكذوبة: منها قبر علي بن أبي طالب: الموجود في النجف فقد ذكر شيخ الإسلام أن عليًا قبر بقصر الإمارة بالكوفة، حيث قال كما في "**مجموع الفتاوى**"[(١)]: (ومنها قبر علي رضي الله عنه الذي بباطن النجف، فإن المعروف عند أهل العلم أن عليًا دفن بقصر الإمارة بالكوفة، كما دفن معاوية بقصر الإمارة من **الشام**، ودفن عمرو بقصر الإمارة، خوفًا عليهم من الخوارج أن ينبشوا قبورهم، ولكن قيل أن الذي بالنجف قبر المغيرة).

ومنها قبر الحسين: فقد ذكر شيخ الإسلام أن قبره بالقاهرة مكذوب عليه، حيث قال كما في "**مجموع الفتاوى**"[(٢)]: (كذب مختلق بلا نزاع بين العلماء المعروفين عند أهل العلم، الذين يرجع إليهم المسلمون في مثل ذلك لعلمهم وصدقهم)، بل ذكر رحمه الله كما في "**مجموع الفتاوى**"[(٣)] (أن جماعة من العلماء كذبوه، وأن بعضهم ذكر أنه قبر نصراني).

ومنها قبر السيدة زينب في القاهرة: فالسيدة زينب ماتت بالمدينة

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٩٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٥١).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٩٣،٤٨٥).

ودفنت بالبقيع، والقبر المنسوب إليها في الشام وهو أقدم من القبر المنسوب إليها في القاهرة ومع هذا فكلاهما كذب لأنها لم تطأ أرض مصر كما ذكر المؤرخون.

ومنها قبر عبد الرحمن بن عوف المنسوب إليه في البصرة، فقد مات في المدينة ودفن بالبقيع.

ومنها قبة في نصيبين وهي في الشام (**جنوب تركيا حاليًا**) وهذه القبة على قبر منسوب لسلمان الفارسي، مع أنه قد مات في المدائن.

وقبر أبي بن كعب في دمشق: قال شيخ الإسلام كما في "**مجموع الفتاوى**"(١): (وكذلك بدمشق بالجانب الشرقي مشهد يقال إنه قبر أبى بن كعب وقد اتفق أهل العلم على أن أبيا لم يقدم دمشق وإنما مات بالمدينة فكان بعض الناس يقول إنه قبر نصراني وهذا غير مستبعد).

ومنها قبر أبي الدرداء: المدفون في مدينة الإسكندرية، فإن أهلها يجزمون أن المقبور عندهم هو أبو الدرداء، وأهل العلم يقطعون أنه ليس هو أبا الدرداء.

وهناك الكثير من القبور المنسوبة إلى كثير من الصحابة والتابعين وأئمة العلم والدين وهي كذب لا صحة لها تأريخيـاً.(٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٦٠).

(٢) يراجع "مجموع فتاوى" شيخ الإسلام (المجلد رقم ٢٧ مجلد الزيارة)، =

الأشياء التي يعتمدون عليها في إثبات هذه الأضرحة إلى أصحابها

هناك أمور يعتمد عليها هؤلاء القبوريون في إثبات هذه القبور لفلان وفلان وإثبات الولاية لأصحابها، منها:

١- الرؤى المنامية: أي: أنهم رأوا في المنام أن هذا قبر فلان بن فلان.

٢- ودعوى أنهم وجدوا ريحًا طيبة تخرج من هذه القبور: أي: مما يدل على أن هذا القبر هو لولي من الأولياء.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "**مجموع الفتاوى**"[(١)]: (وغالب ما يستند إليه الواحد من هؤلاء أن يدعى أنه رأى منامًا، أو أنه وجد بذلك القبر علامة تدل على صلاح ساكنه إما رائحة طيبة وإما توهم خرق عادة ونحو ذلك، وإما حكاية عن بعض الناس أنه كان يعظم ذلك القبر).

وغيرها.

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٦١-٦٢).

بعض عجائب اعتقادات القبوريين

١- منها أن الولي الواحد قد نجد له عدداً من الأضرحة في عدة بقاع من بلاد المسلمين وغيرها، وقد قال القبوريون مبررين سبب تعدد هذه الأضرحة: إن الأرض لأجسام الأولياء كالماء للسمك، فيظهرون بأماكن متعددة في الشام ومصر والعراق وتزار كل هذه الأمكنة وإن تعددت الأضرحة لرجل واحد.

٢- ومنها ارتياد الناس في **بنجلاديش** لمزارات فيها سلاحف وتماسيح يعتقد بعض الجهال فيها النفع والضر، فيقدمون لها أنواع الأطعمة لها أملاً في الحصول على وظيفة أو غير ذلك، وتحرص بعض النساء على مس هذه الحيوانات أملاً في حدوث الحمل والذرية، وسبب هذا الاعتقاد أنهم يرون أن هذه تحولت من أولياء صالحين إلى سلاحف وتماسيح.

٣- وهناك مزارات تحتوي على أشجار يعتقد فيها، وتعلق على أغصانها الخيوط والخرق.

٤- وهناك ضريح في السودان في **(ود مدني)** للشيوعي الصيني **"يانغ تشي تشنج"**.

٥- قبر جلال الدين الرومي بالقاهرة كتب على قبره: **(صالح للأديان الثلاثة)**!! أي: يصلح لزيارة المنتسبين للمسلمين اليهود والنصارى،

وغيره إنما خاص بديانة واحدة.

٦- ومن العجائب التي يتعجب منها المسلم هو أن في هذه الأضرحة أنواعـًا من التخصصات، فهناك من الأولياء ما هو متخصص بأمراض العظام، ومنها ما هو متخصص في العقم، وآخر في تزويج العانسات، وآخر في إعانة طلاب المدارس الذين يمرون بالامتحانات، إلى غير ذلك.

أسباب انتشار هذه المزارات

وانتشار هذه المزارات لها أسباب، منها:

١ - الكسب المادي الكبير الذي يعود على سدنة هذه الأضرحة.

٢ - الترويج لها ممن فسدت عقائدهم، وتعلقت بها قلوبهم.

٣- ترويج أعداء الإسلام لمثل هذه المزارات، ونشرها في مجتمعات المسلمين، لغرض إبقاء المسلمين مأسورين لمثل هذا الضعف العقدي.[١]

(١) https: //www.minhajnobowa.net/articles/view/322

سدّ الذرائع المفضية والمؤدّية إلى الوقوع في الشّرك

جاءت الشريعة الإسلامية الغراء بالتدابير الواقية من الوقوع في الشرك، فمن ذلك: (١)

أ - التحذير من الوقوع في الشرك فيما يتعلق بذات الله سبحانه وأسمائه وصفاته:

١- **التحذير من الوساوس والشكوك والأوهام**: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (**قال الله عز وجل: إن أمتك لا يزالون يقولون: ما كذا؟ ما كذا؟ حتى يقولون: هذا الله خلَق الخلْق، فمن خلق الله؟**) (رواه مسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**لا يزال الناس يسألونكم عن العلم حتى يقولوا: هذا الله خلقنا، فمن خلق الله؟**) (رواه مسلم).

فهذا الشكّ إذا تمكّن في القلب يحصل الشرك في ذاته سبحانه، فحذّر النبي ﷺ من الوقوع في ذلك، وبيّن للناس كيفية اتّقائه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك**

(١) http: //www.alminbar.net/malafilmy/alsherk/8.htm

فليستعذ بالله ولينتَهِ) (رواه البخاري ومسلم)، وفي رواية: **(فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل: آمنت بالله)** (صحيح مسلم)، زاد في رواية: **(ورسله)** (صحيح مسلم).

٢- التحذير من الكبر الذي هو حق الله تعالى: عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **(العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته)** (رواه مسلم).

قال النووي: "ومعنى (ينازعني): يتخلّق بذلك فيصير بمعنى المشارك، وهذا وعيد شديد في الكبر"[١].

٣- التحذير من التشبه بالله تعالى في الاسم الذي لا ينبغي إلا له وحده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **(أخنع الأسماء عند الله رجل تسمَّى بملك الأملاك)** (رواه البخاري)، وفي لفظ: **(أغيظ رجل على الله رجل يسمى بملك الأملاك)** (صحيح مسلم).

قال النووي: "واعلم أن التسمي بهذا الاسم حرام، وكذلك التسمي بأسماء الله تعالى المختصة به كالرحمن والقدوس والمهيمن وخالق الخلق ونحوها"[٢].

ب - التحذير من الوقوع في الشرك في عبادة الله تعالى:

---

(١) شرح مسلم (١٦/ ١٧٣).

(٢) شرح مسلم (١٤/ ١٢٢).

١- **الإخبار بوقوع الشرك في آخر الزمان:** عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**)، وكانت صنماً تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة (رواه البخاري ومسلم).

وعن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبَد اللات والعزى**)، فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظنّ حين أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾ [الصف: ٩] أنَّ ذلك تامـًا!! قال: (**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحـًا طيبة فتوفّي كلّ من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم**) (رواه مسلم).

وقد وقع ما أخبر به ﷺ، فرجعت دوس وما حولها من القبائل لعبادة الخلصة وافتتنوا بها، حتى قامت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀، وتجدّد ما اندرس من الدين وعاد الإسلام لجزيرة العرب، فهدمت ذي الخلصة وأزيلت آثارها ولله الحمد.(١)

٢- **النهي عن الإطراء في مدحه ﷺ:** عن عمر ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد،**

(١) الشرك في القديم والحديث (١/ ٦٠٠).

فقولوا: عبد الله ورسوله (رواه البخاري).

إذ الغلو في تعظيمه يؤدّي إلى استشعار القلب بالخوف والرهبة منه والرجاء فيه، فيصرف إليه عندئذٍ شيئًا من حقوق الله تعالى.(١)

٣- النهي عن البناء على القبور، وعن اتخاذها عيداً ومساجد: عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها: **مارية**، فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: **(أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله).** (رواه البخاري).

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتمّ بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: **(لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**، يحذر ما صنعوا. (رواه البخاري).

قال الحافظ: "وكأنه ﷺ علم أنه مرتحل من ذلك المرض، فخاف أن يعظّم قبره كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذمّ من يفعل فعلهم."(٢)

---

(١) الشرك في القديم والحديث (١/ ٦١٢).

(٢) فتح الباري (١/ ٦٣٤).

وعن جابر بن عبد الله ﵁ قال: (**نهى رسول الله ﷺ أن يجصّص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه**). (رواه مسلم).

٤- **النهي عن الصلاة إلى القبور**: عن أبي مرثد الغنوي ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها**).(رواه مسلم).

قال النووي: "فيه تصريح بالنهي عن الصلاة إلى قبر".[١]

قال ابن القيم: "فإن هذا وأمثاله من النبي ﷺ صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له وغضب لربه أن يعدل به سواء"[٢]

٥- **الأمر بتسوية القبور وهدم ما بني عليها**: عن ثمامة بن شفي قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوّي، ثم قال: (**سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها**) (رواه مسلم).

وعن أبي الهيّاج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: (**أن لا تدع تمثالاً إلا طمستَه، ولا قبراً مشرفـًا إلا سوّيته**).(رواه مسلم).

قال سليمان آل الشيخ: "وقد أجمع العلماء على النهي عن البناء على القبور وتحريمه ووجوب هدمه لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة التي

---

(١) شرح مسلم (٧/ ٣٨).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ١٨٩).

لا مطعن فيها بوجه من الوجوه، ولا فرق في ذلك بين البناء في مقبرة مسبّلة أو مملوكة إلا أنه في المملوكة أشدّ."[1]

٦- **التحذير من زيارة القبور للصلاة في المساجد المبنية عليها أو الدعاء عندها وشدّ الرحال إليها:** عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول** ﷺ، **ومسجد الأقصى**). (رواه البخاري ومسلم)

قال ابن تيمية رحمه الله: "فقد نهى النبي ﷺ عن السفر إلى غير المساجد الثلاثة".[2]

وقال أيضـاً: "وهذا النهي يعم السفر إلى المساجد والمشاهد، وكل مكان يقصد السفر إلى عينه للتقرب".[3]

٧- **النهي عن الحلف بغير الله:** عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ركب وهو يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ: (**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفـًا فليحلف بالله أو ليصمت**). (رواه البخاري ومسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من حلف منكم فقال**

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٣٣٢).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ١٥٣).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ١٨٢).

في حلفه: باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله). (رواه البخاري ومسلم).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهو ﷺ نهى عن الحلف بغير الله، وعن الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها، وعن اتخاذ القبور مساجد، واتخاذ قبره عيداً، ونهى عن السفر إلى غير المساجد الثلاثة، وأمثال ذلك لتحقيق إخلاص الدين لله، وعبادة الله وحده لا شريك له، فهذا كله محافظة على توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وأن يكون الدين كله لله، فلا يعبد غيره، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يدعى إلا هو، ولا يتّقى إلا هو، ولا يصلى ولا يصام إلا له، ولا ينذر إلا له، ولا يحلف إلا به، ولا يحج إلا إلى بيته".(١)

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٥٠- ٣٥١).

نقض شبهات المشركين التي يتعلقون بها في تبرير شركهم في توحيد الإلهية

قال الشيخ العلاّمة الفوزان حَفِظَهُ اللَّهُ: إنه بسبب رواج الشبه والحكايات التي ضل بها أكثر الناس واعتبروها أدلة يستندون إليها في تبرير ضلالتهم وشركهم؛ استمرءوا ما هم عليه، فكان لا بد من كشف زيفها وبيان بطلانها؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وهذه الشبه منها ما هو قديم أدلى به المشركون من الأمم السابقة، ومنها ما أدلى به مشركو هذه الأمة، ومن هذه الشبه:

أولا: شبهة تكاد تكون مشتركة بين طوائف المشركين في مختلف الأمم، وهي شبهة الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد، وأنهم ورثوا هذه العقيدة خلفا عن سلف، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣].

وهذه حجة يلجأ إليها من يعجز عن إقامة الدليل على دعواه، وهي حجة داحضة، لا يقام لها وزن في سوق المناظرة؛ فإن هؤلاء الآباء الذين قلدوهم ليسوا على هدى، ومن كان كذلك؛ لا تجوز متابعته والاقتداء به.

قال تعالى ردا عليهم: ﴿۞قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [الزخرف: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ١٧٠﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ١٠٤﴾ [المائدة: ١٠٤].

وإنما يكون الاقتداء بالآباء محمودا إذا كانوا على حق: كما قال تعالى عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [يوسف: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].

وشبهة الاحتجاج بما كان عليه الآباء الضالون متغلغلة في نفوس المشركين، يقابلون بها دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: فقوم نوح لما قال لهم نوح: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [المؤمنون: ٢٣-٢٤]، فجعلوا ما عليه آباءهم حجة يعارضون بها ما جاءهم به نبيهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ يقولون له: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود: ٦٢]، وقوم إبراهيم يقولون له: ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ٧٤﴾ [الشعراء: ٧٤]، وفرعون يقول لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ٥١﴾ [طه: ٥١]،

ومشركو العرب يقولون لمحمد ﷺ لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله! قالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص: ٧].

ثانيا: ومن الشبه التي يدلي بها عباد القبور اليوم ظنهم أن مجرد النطق بلا إله إلا الله يكفي لدخول الجنة، ولو فعل الإنسان ما فعل؛ فإنه لا يكفر وهو يقول: لا إله إلا الله، متمسكين بظواهر الأحاديث التي ورد فيها أن من نطق بالشهادتين حرم على النار.

والجواب عن هذه الشبهة: أن هذه الأحاديث ليست على إطلاقها، وإنما هي مقيدة بأحاديث أخرى جاء فيها أنه لا بد لمن قال: لا إله إلا الله: أن يعتقد معناها بقلبه ويعمل بمقتضاها فيكفر بما يعبد من دون الله.

كما في حديث عتبان: (**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**). وإلا؛ فالمنافقون يقولون: لا إله إلا الله بألسنتهم، وهم في الدرك الأسفل من النار، ولم ينفعهم النطق بلا إله إلا الله؛ لأنهم لا يعتقدون ما دلت عليه بقلوبهم.

وفي "صحيح مسلم": (**من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**). فعلق النبي ﷺ حرمة المال والدم على أمرين:

الأول: قول لا إله إلا الله، **والثاني**: الكفر بما يعبد من دون الله، ولم يكتف بمجرد النطق بلا إله إلا الله، فدل على أن الذي يقول لا إله إلا الله

ولا يترك عبادة الموتى والتعلق بالأضرحة؛ لا يحرم ماله ولا دمه.

ثالثا: ومن الشبه التي يدلون بها أيضا: دعواهم أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن هذا الذي يمارسونه عند الأضرحة من عبادة الموتى ودعائهم من دون الله لا يسمى شركا عندهم.

والجواب عن هذه الشبهة أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون في هذه الأمة مشابهة لليهود والنصارى فيما هم عليه، ومن جملة ذلكم اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وأخبر ﷺ أنها لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمته بالمشركين، وحتى تعبد فئات من أمته الأوثان، وقد حدث في هذه الأمة من الشرك والمبادئ الهدامة والنحل الضالة ما خرج به كثير من الناس عن دين الإسلام، وهم يقولون لا إله إلا الله...

رابعا: ومن الشبه التي تعلقوا بها قضية **الشفاعة**؛ حيث يقولون: نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله، لأنهم أهل صلاح ومكانة عند الله؛ فنحن نريد بجاههم وشفاعتهم.

والجواب: أن هذا هو عين ما قاله المشركون من قبل في تبرير ما هم عليه، وقد كفرهم الله وسماهم مشركين؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس: ١٨]. **والشفاعة حق**، ولكنها ملك لله وحده؛ كما قال

تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ [الزمر: ٤٤]؛ فهي تطلب من الله لا من الأموات؛ لأن الله لم يرخص في طلب الشفاعة من الملائكة ولا من الأنبياء ولا غيرهم؛ لأنها ملكه سبحانه، وتطلب منه؛ ليأذن للشافع أن يشفع، وليس الأمر كما هو عند المخلوقين من تقدم الشفعاء لديهم بدون إذنهم، ويضطرون إلى قبول الشفاعة لحاجتهم إليهم، وإن لم يرضوا عن المشفوع فيه؛ لأنهم يحتاجون إلى الأعوان والوزراء، أما الله سبحانه؛ فلا يشفع أحد إلا بإذنه ورضاه عن المشفوع فيه؛ قال تعالى: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦].

خامسا: ومن شبه هؤلاء أنهم يقولون: إن الأولياء والصالحين لهم مكانة عند الله، ونحن نسأل الله بجاههم ومكانتهم.

والجواب: أن المؤمنين كلهم أولياء الله، ولكن الجزم بشخص معين أنه ولي لله يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنة، ومن ثبت ولايته بالكتاب والسنة؛ لم يجز لنا الغلو فيه والتبرك به؛ لأن ذلك من وسائل الشرك، والله أمرنا بدعائه مباشرة دون اتخاذ وسائط بيننا وبينه، ولأن هذا هو التعليل الذي علل به المشركون من قبل أنهم اتخذوا هؤلاء شفعاء ووسائط بينهم وبين الله يسألون الله بجاههم وقربهم، فأنكر الله عليهم ذلك.(١)

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص٢٩- ٣٢).

بيان بطلان الشّرك بأوضح الأدلة

ذكر الله تعالى في القرآن العظيم أمثلةً كثيرة على بطلان الشرك، فمن ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم: ٢٨].

قال العلاّمة الإمام الربّاني ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا دليل قياس احتجّ الله سبحانه به على المشركين، حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجّة يعرفون صحّتها من نفوسهم، فقال: هل لكم مما ملكت إيمانكم من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل؟ أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهليكم، فأنتم وهم في ذلك سواء؟ أتخافون أن يقاسموكم أموالكم ويشاطروكم إياها ويستأثرون ببعضها عليكم كما يخاف الشريك شريكه؟ فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم، فلِم عدلتم بي من خَلقي من هو مملوك لي؟ فإن كان هذا الحكم باطلاً في فطركم وعقولكم مع أنه جائز عليكم ممكن في حقّكم، إذ ليس عبيدكم ملكًا لكم حقيقةً، وإنما هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، وأنتم وهم عباد لي، فكيف

تستجيزون مثل هذا الحكم في حقّي مع أن من جعلتموه لي شركاء عبيدي وملكي وخلقي؟!".[1]

٢- وقوله تعالى: ﴿۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ [النحل: ٧٥].

قال العلاّمة الإمام الربّاني ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا المثل: "ضربه الله سبحانه لنفسه وللأوثان، فالله سبحانه هو المالك لكل شيء، ينفق كيف يشاء على عبيده سراً وجهراً، وليلاً ونهاراً، يمينه ملأى لا يغيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار، والأوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء، فكيف يجعلونها شركاء لي ويعبدونها من دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين؟! هذا قول مجاهد وغيره وهو أشبه بالمراد، فإنه أظهرُ في بطلان الشرك وأوضح عند المخاطب، وأعظم في إقامة الحجة."[2]

٣- وقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ [المؤمنون: ٩١].

قال العلاّمة الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فتأمل هذا البرهان بهذا اللفظ الوجيز الظاهر، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً، يوصل إلى

(١) إعلام الموقعين (١ / ٢١١) بتصرف.

(٢) إعلام الموقعين (١ / ٢١١- ٢١٢) بتصرف.

عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل، وحينئذٍ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرّده بالملك والإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه، وذهب بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بممالكه، إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه، فلا بد من أحد ثلاثة أمور: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض، وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه، وانتظامُ أمر العالم كله وإحكام أمره من أدلّ دليل على أن مدبره إله واحد وملِك واحد ورب واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه". (١)

٤- وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

قال العلاّمة الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين مجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك، وسدّ بها

(١) مختصر الصواعق (٩٥، ٩٦).

عليهم أبلغ سدّ وأحكمه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وإلا فلو كان لا يرجو منفعة لم يتعلق قلبه به، وحينئذٍ فلا بد أن يكون المعبود مالكـًا للأسباب التي ينفع بها عابده، أو شريكـًا لمالكها، أو ظهيراً أو وزيراً أو معاونـًا له، أو وجيهـًا ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك وانقطعت موادّه، فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السموات والأرض، فقد يقول المشرك: هي شريكة الملِك الحق، فنفى شركَها له، فيقول المشرك: قد يكون ظهيراً أو وزيراً أو معاونـًا، فقال: ﴿ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾، ولم يبق إلا الشفاعة، فنفاها عن آلهتهم، وأخبر أنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، فإن لم يأذن للشافع لم يتقدم بالشفاعة بين يديه". (١)

٥- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].

قال العلامة الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فتأمّل هذا المثل الذي أمر الناس كلهم باستماعه، فمن لم يسمعه فقد عصى أمره، كيف تضمّن إبطال

(١) مختصر الصواعق (ص: ٩٤).

الشرك وأسبابه بأوضح برهان في أوجز عبارة وأحسنها وأحلاها، وسجّل على جميع آلهة المشركين أنهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد وعاون بعضهم بعضاً بأبلغ المعاونة لعجزوا عن خلق ذباب واحد، ثم بيّن عجزهم وضعفهم عن استنقاذ ما يسلبهم الذباب إياه حين يسقط عليهم، فأي شيء أضعف من هذا الإله المطلوب، ومن عابده الطالب نفعه وحده؟ فهل قدّر القوي العزيز حقاً قدره من أشرك معه آلهة هذا شأنها؟ فأقام سبحانه حجة التوحيد، وبيّن ذلك بأعذب ألفاظٍ وأحسنها، لم يستنكرها غموض، ولم يشنها تطويل، ولم يعبها تقصير".[1]

٦- وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢].

قال العلامة الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي: في السموات والأرض ﴿لَفَسَدَتَا ۚ﴾ في ذاتهما، وفسد من فيهما من المخلوقات.

وبيان ذلك أن العالم العلوي والسفلي - على ما يرى - في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة ولا معارضة، فدلّ ذلك على أن مدبّره واحد وربه واحد وإلهه واحد، فلو كان له مدبّران وربّان أو أكثر من ذلك لاختلّ نظامه وتقوّضت أركانه، فإنهما

(١) مختصر الصواعق (ص: ٩٧).

يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء وأراد الآخر عدمه فإنه محال وجود مرادهما معـًا، ووجود مراد أحدهما دون الآخر يدلّ على عجز الآخر وعدم اقتداره، واتفاقهما على مرادٍ واحد في جميع الأمور غير ممكن، فإذاً يتعيّن أن القاهر الذي يوجد مراده وحدَه من غير ممانع ولا مدافع هو الله الواحد القهار".[١] [٢]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٢١).

(٢) http: //www.alminbar.net/malafilmy/alsherk/6.htm

شيخ وإمام وعمدة المفسّرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يثبت ويقرّر أن المشركين الأوائل كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبيّة ويجحدون توحيد الألوهية

العلاّمة الإمام شيخ وإمام وعمدة المفسّرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي وصفة الإمام العلاّمة الربّاني شيخ الإسلام الثاني ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: [الإمام في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ واللغة والنحو والقران].(١)، والذي أثنى العلماء الأعلام على تفسيره المسمى (**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**) ثناءً عظيماً عطراً.. وإليك بعض أقوال العلماء وثنائهم على تفسيره:

قال عنه الإمام الربّاني النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لم يصنف أحد مثله".(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وتفسير محمد بن جرير الطبري هو من أجلِّ التفاسير وأعظمها قدرًا...".(٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: "وأما التفاسير التي في أيدي

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص: ١٩٤).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦١).

الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي".(١)

قال الحافظ مؤرِّخ الإسلام الذهبيرَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وله كتاب التفسير، لم يصنف أحد مثله".(٢)

قال الإمام الحافظ السيوطيرَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكتابه أجلُّ التفاسير وأعظمها.. فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك".(٣)

قال الإمام أبو حامد الإسفراييني الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصِّل تفسير ابن جرير، لم يكن كثيرًا".(٤)

هذا الإمام الهمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرّر ويكرّر ويفرّق بين توحيدي الربوبيّة والألوهيّة، أو مضمون قسمي التوحيد هذين بغض النظر عن تسميتهما ربوبيةً وألوهية، وأن المشركين كانوا يؤمنون بالأول ويجحدون الثاني، وأن إيمانهم بالتوحيد الأول لم يسلب فعلهم اسم

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٠).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ١٩٠).

(٤) الذهبي: العبر في خبر من غبر (١/ ٤٦٠).

العبادة، ولم يمنع عنهم وصف الشرك، وبهذا يثبت بطلان عقيدة دعاة الأموات الذين ينازعون فيما سبق، ويبرّرون بهذه المنازعة صنيع القبورية، وأنهم بمنأى عن عقائد السّلف وفهمهم المتمثل بأفضل مصداق تفسيري، تفسير العلاّمة الإمام المتفنن والمتقن ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٢٢﴾﴾، وبعد أن نقل الأقوال في تفسيرها وبأن الإمام مجاهد جعل المقصودين بالآية أهلَ الكتابين[1]: "وأحسب أن الذي دَعا مجاهدًا إلى هذا التأويل، وإضافة ذلك إلى أنه خطاب لأهل التوراة والإنجيل دُون غيرهم - الظنُّ منه بالعرب أنها لم تكن تعلم أنّ اللهَ خالقها ورازقها، بجحودها وحدانيةَ ربِّها، وإشراكها معه في العبادة غيره. وإنّ ذلك لَقولٌ! ولكنّ الله جلّ ثناؤه قد أخبرَ في كتابه عنها أنها كانت تُقر بوحدانيته، غير أنها كانت تشرك في عبادته ما كانت تشرك فيها، فقال جل ثناؤه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ﴾، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ

---

(١) (الطبري السّلفي: بحث في عقيدة الإمام الطبري كما ظهرت في تفسيره جامع البيان ج٤- توحيد الألوهية).
http: //maher-ameer.blogspot.com/2017/08/4.html?m=1

وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴿٣١﴾﴾ فالذي هو أولى بتأويل قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانية الله، وأنه مبدع الخلق وخالقهم ورازقهم، نظير الذي كان من ذلك عند أهل الكتابين، ولم يكن في الآية دلالة على أن الله جل ثناؤه عنى بقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أحد الحزبين، بل مخرج الخطاب بذلك عام للناس كافة لهم، لأنه تحدى الناس كلهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ أن يكون تأويله ما قاله ابن عباس وقتادة، من أنه يعني بذلك كل مكلف عالم بوحدانية الله وأنه لا شريك له في خلقه، يشرك معه في عبادته غيره، كائنا من كان من الناس..." **اهـ**.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴿١٠٦﴾﴾، قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يقول تعالى ذكره: وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عَزَّ وَجَلَّ صفتهم بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴿١٠٥﴾﴾ بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾، في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أربابا، وزعمهم أن له ولدا، تعالى الله عما يقولون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل".

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ قال أبو جعفر ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يقول

- تعالى ذكره -: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يتولونهم، ويعبدونهم من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زلفى، قربة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا... ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن عمرو... عن مجاهد في قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ قال: قريش تقوله للأوثان، ومن قبلهم يقوله للملائكة ولعيسى ابن مريم ولعزير." **اهـ**

قلت (تعليق الناقل والمعلّق على كلام الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ**):**

ها هنا فوائد:

الأولى: إثبات أن المشركين صرفوا العبادة لآلهتهم لا لتدبر لهم أو تنفعهم أو تضرهم في حوائجهم استقلالًا وخلقًا وإبداعًا كما يزعم المبررون للشرك اليوم، وإنما لتقربهم إلى الله وتشفع لهم عنده في حاجاتهم، فحاجاتهم تحقيقها من الله سبحانه لا من هذه المعبودات.

الثانية: يثبت هنا مرةً أخرى أن تسميتهم "**عابدين لغير الله**" وتسمية معبوداتهم "**آلهة**" يكفي فيه أن يصرفوا أفعالًا معينة إليها وإن لم يعتقدوا فيها إلا الشفاعة! فليس شرطًا أن يعتقدوا فيها خلقًا أو رزقًا أو تدبيرًا أو أي تصرف استقلالي في حاجاتهم، بل يكفي اتخاذها شافعة إلى الله في تحقيق تلك الحاجات وصرف هذه الأفعال إليها ليكونوا "**عابدين**" لها ولتكون "**آلهة**"!

بيان توحيدهم لله بالدعاء عند الشدة وإشراكهم بدعاء غيره في الرخاء

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يقول تعالى ذكره: فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يقول: أخلصوا لله عند الشدّة التي نـزلت بهم التوحيد، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودة، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم، ولكن بالله الذي خلقهم... حدثنا بشر عن قَتادة، قوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ فالخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم، ثم يشركون بعد ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل".

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس: ٢٢] قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أخلصوا الدعاء لله هنالك، دون أوثانهم وآلهتهم، وكان مفزعهم حينئذٍ إلى الله دونها، كما حدثني يونس قال:

... قال ابن زيد: هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون، فإذا كان الضر لم يدعوا إلا الله، فإذا نجاهم إذا هم يشركون".

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢] "وإذا غشى هؤلاء موج كالظلل، فخافوا الغرق، فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة، لا يشركون به هنالك شيئا، ولا يدعون معه أحدا سواه، ولا يستغيثون بغيره".

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ۝٦٧﴾ [الإسراء: ٦٧] "يقول تعالى ذكره: وإذا نالتكم الشدّة والجهد في البحر ضلّ من تدعون: يقول: فقدتّم من تدعون من دون الله من الأنداد والآلهة، وجار عن طريقكم فلم يغثكم، ولم تجدوا غير الله مغيثا يغيثكم دعوتموه، فلما دعوتموه وأغاثكم، وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه في البحر، أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد، والبراءة من الآلهة، وإفراده بالألوهة كفرا منكم بنعمته".

قلت (المعلّق على كلام الإمام): لاحظ أن الوحي أثبت هنا استغاثةً شركية منافيةً للتوحيد، ودعاءً شركيًا هو عبادة لغير الله، فوجود هذا النوع من الشرك قطعي، وتهوين المنافحين عن الشرك من المعاصرين من هذا النوع وجعله كالطلب من الحي والاستعانة به واستغاثته تلبيسٌ باطلٌ بهذه

الآية وغيرها، فما هي حقيقة هذه الاستغاثة الشركية؟ ومتى تكون عبادةً لغير الله وشركًا؟ هل يشترط في المستغيث أن يعتقد في المستغاث به أنه يخلق شيئًا؟ **الوحي ومفسرنا الطبري يقولان: لا.**

فإن هؤلاء الداعين غير الله يذعنون بالعبودية ويستغيثون بخالقهم كما قال الطبري، وبالتالي هم لا ينكرون كونه الخالق المتفرد بالخلق كما ذكرنا عنهم مرارًا وكما أثبت لهم الوحي، ويؤكد ذلك قتادة بقوله "**فالخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم، ثم يشركون بعد ذلك**" فاعتقاد ربوبية الله لا يدفع وصف الشرك عنهم.

كما أن كلام قتادة مفيد من جهة أخرى، إذ هو يثبت تفرد الله بكونه "**الرب**" عند الخلق كلهم، وهذا تصريح من قتادة بالتفريق بين اعتقاد ربوبية الله وتوحيده بالعبادة، وذلك بنسبته للخلق اعتقاده سبحانه ربًا لهم، مع كونهم يشركون.

وفيه **فائدة ثالثة**، وهي أن كل ما ورد من اتخاذ الأرباب عند المشركين يراد به أيضًا "**الإله**" وإنما يعبر بالرب عن الإله والعكس لبيان التلازم بينهما وارتباط الوصفين بعضهما ببعض وتناقض من فرق بينهما من المشركين ، بحيث أثبت ربًا واحدًا وآلهة عدة.

قال الإمام أبو جعفر في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴿٢٠﴾﴾ [النحل: ٢٠]: "يقول تعالى ذكره:

وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة لا تخلق شيئا وهي تخلق، فكيف يكون إلها ما كان مصنوعا مدبرا، لا تملك لأنفسها نفعا ولا ضرّا".

قلت (المعلّق): فكيف تستقيم حجة الله على المشركين في الآية بحسب تفسير الطبري؛ لو كانوا فعلًا يعتقدون جميعًا أنها تخلق شيئًا أو تستقل بشيء؟ لابد وأن بعضهم على الأقل تتناوله هذه الحجة ويقر بأنها لا تخلق شيئًا.

وإلا لأجابوا: من قال أننا نعتقد أنها لا تخلق شيئًا وأنها لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا لتحاجنا بهذا على بطلان عبادتها؟

وفيه **فائدة أخرى:** وهي في تسمية المعبودات آلهة، مع كونهم لا يعتقدون أنها تخلق شيئًا بل هي مخلوقة.

وفيه: الرد على تبرير بعضهم لمشركي اليوم بأن المشركين لم يعتقدو تفرد معبوداتهم بالخالقية وإنما اعتقدوا أن لها شيئًا من الخلق، فيرد الطبري كلامهم وينسب للمشركين عدم اعتقادهم في مخلوقاتهم أنها تخلق شيئًا، كما رد عليهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما سبق حين نسب لهم اعتقاد (وحدانية) الله بربوبيته وخلقه.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟

لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢٢] قال الإمام أبو جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ: "فنهاهم الله تعالى أن يُشركوا به شيئًا، وأن يعبدوا غيرَه، أو يتخذوا له نِدًّا وَعِدلا في الطاعة، فقال: كما لا شريك لي في خلقكم، وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم، ونعمي التي أنعمتها عليكم - فكذلك فأفردوا ليَ الطاعة، وأخلصُوا ليَ العبادة، ولا تجعلوا لي شريكًا ونِدًّا من خلقي، فإنكم تعلمون أن كلّ نعمةٍ عليكم فمنِّي".

قلت (المعلّق): فلو كانوا يخالفون في أنه هو المالك الخالق الرازق وحده= لبطلت حجة الوحي التي ذكرها الطبري والتي خلاصتها: كما توحدون الله في الربوبية = وحدوه سبحانه في الألوهية، إذ الثانية لا تكون إلا لمن ثبتت له الأولى.

وقال العلامة الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴿٢٠﴾﴾ [النحل: ٢٠] "يقول تعالى ذكره: وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة لا تخلق شيئا وهي تخلق، فكيف يكون إلها ما كان مصنوعا مدبرا، لا تملك لأنفسها نفعا ولا ضرّا."

قلت (المعلّق): إذن ما كانوا يظنون أنها تخلق وإلا لبطلت حجة القرآن هنا ولقالوا: لا، بل هي تخلُق وتستقلُ بأفعالها من دون الله سواء كان فعلها نفعًا أو ضرًا أو شفاعة.

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ

ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ [آل عمران: ٢٠]: "يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿وَقُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾، يقول: قل لهم: هل أفردتم التوحيد وأخلصتم العبادة والألوهية لرب العالمين، دون سائر الأنداد والأشراك التي تشركونها معه في عبادتكم إياهم وإقراركم بربوبيتهم، وأنتم تعلمون أنه لا ربّ غيره ولا إله سواه ﴿فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ﴾، يقول: فإن انقادوا لإفراد الوحدانية لله وإخلاص العبادة والألوهة له ﴿فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾، يعني: فقد أصابوا سبيل الحق، وسلكوا مَحَجَّة الرشد."

قلت (المعلّق): فما هو شرك اليهود والنصارى ما داموا يثبتون ربًا خالقًا رازقًا نافعًا ضارًا واحدًا؟

إن شمول هذه الآيات لأهل الكتاب مع علمنا بأنهم يؤمنون بربوبية الله لأدل شيءٍ على مطلوبنا، وهو أن عبادة غير الله ووصف الشرك ليس شيءٌ منهما مشروطًا باعتقاد ربوبية وخالقية المعبود.

بعث الله رسله وأنزل كتبه لإخلاص توحيده وإفراده بالعبادة لا لتعريف خلقه بأنه الخالق والرازق..

قال الإمام العلاّمة المحقق الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اعلم أن الله لم يبعث رسله، وينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم، والرازق، ونحو ذلك، فإن هذا يقر به كل مشرك قبل بعثة الرسل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: ٩]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس: ٣١]، ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

ولهذا تجد كل ما ورد في الكتاب العزيز في شأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفار مُعَنْوَنًا باستفهام التقرير: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:

١٠]، ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]، ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

بل بعث الله رسله، وأنزل كتبه لإخلاص توحيده، وإفراده بالعبادة ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [فصلت: ١٤]، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [نوح: ٣] ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف ٧٠]، ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: ٥٦].

وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله، والنداء، والاستغاثة، والرجاء، واستجلاب الخير، واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ولا من غيره ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

وقد تقرر أن شرك المشركين الذين بعث الله إليهم خاتم رسله لم يكن إلا باعتقادهم أن الأنداد التي اتخذوها تنفعهم وتضرهم وتقربهم إلى الله، وتشفع لهم عنده، مع اعترافهم بأن الله -سبحانه وتعالى- هو خالقها وخالقهم، ورازقها ورازقهم، ومحييها ومحييهم، ومميتها ومميتهم، ﴿مَا

نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧- ٩٨]، ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]. وكانوا يقولون في تلبيتهم: **لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك.**(١)

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد(ص: ٦٥- ٦٨).

إذا لم يكن دعاء غير الله شركا وكفرا فما هو الشرك

قال العلاّمة المحقق الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الرزية كل الرزية، والبلية كل البلية أمر غير ما ذكرناه من التوسل المجرد، والتشفع ممن له الشفاعة، وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام، وبعض الخواص في أهل القبور، وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جلّ جلاله ويفعلون بهم ما لا يفعله إلا الله عَزَّوَجَلَّ حتى نطقت ألسنتهم مما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله تعالى، وتارة استقلالا، ويصرحون بأسمائهم، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعا زائدا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء.

وهذا إذا لم يكن شركا فلا ندري ما هو الشرك، وإذا لم يكن كفرا فليس في الدنيا كفر". [1]

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٢٨).

من نادى الله ليلاً ونهارا سرّاً وجهارا خوفاً وطمعا ثم نادى معه غيره فقد أشرك

قال الإمام العلاّمة ابن الأمير الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن نادى الله ليلاً ونهارا وسراً وجهاراً وخوفًا وطمعًا ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة، فإن الدعاء من العبادة، وقد سماه الله تعالى عبادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠] بعد قوله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾".[1]

---

(١) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد (١/ ٢٣).

الإمام العلامة المؤرخ المقْريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرّر ويصرّح بقوله: توحيد الألوهيّة مفْرَقُ الطرق بين المؤمنين والمشركين

قال الإمام العلاّمة المؤرخ المَقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقرّوا بأنه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السموات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الإلهيّة والمحبّة، كما قد حكى الله - تعالى - عنهم في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فلما سووا غيره به في هذا التّوحيد كانوا مشركين، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ①﴾ [الأنعام: ٠١].

وقد علّم الله - سبحانه وتعالى- عباده كيفية مباينة الشّرك في توحيد الإلهيّة، وأنه تعالى حقيق بإفراده وليًّا وحكمًا وربًّا، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ وقال: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ وقال: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾، فلا وليّ ولا حكم ولا ربّ إلاّ الله، الذي من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيّته ولو وحّد ربوبيّته، فتوحيد الربوبيّة هو الذي

اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهيّة مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين، ولهذا كانت كلمة الإسلام: **لا إله إلاّ الله**، ولو قال: **لا ربّ إلاّ الله** أجزاه عند المحققين، فتوحيد الألوهيّة هو المطلوب من العباد، ولهذا كان أصل "**الله**" الإله، كما هو قول سيبويه، وهو الصحيح، وهو قول جمهور أصحابه إلاّ من شذّ منهم.[1]

قال الإمام العلامة المؤرخ المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨]، ومعلوم قطعًا أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربّهم وخالقهم، فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرّين بأن الله - تعالى - وحده هو ربّهم وخالقهم، وأن الأرض ومن فيها لله وحده، وأنه ربّ السّموات السّبع وربّ العرش العظيم، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي بيده ملكوت كل شيءٍ، وهو يجير ولا يجار عليه، وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله - تعالى - في المحبّة والعبادة، فمن أحبّ غير الله - تعالى - وخافه ورجاه، وذلّ له كما يحبّ الله - تعالى - ويخافه ويرجوه؛ فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، فكيف بمن كان غير الله آثر عنده وأحبّ إليه، وأخوف عنده، وهو في مرضاته أشد سعيًا منه في مرضاة الله؟. فإذا كان المسوّي بين الله وبين غيره في ذلك مشركًا، فما الظن بهذا؟، فعياذًا بالله من أن ينسلخ

(١) تجريد التوحيد المفيد (ص٢٠ -٢١).

القلب من التّوحيد والإسلام كانسلاخ الحيّة من قشرها، وهو يظن أنه مسلم موحّد، فهذا أحد أنواع الشرك.(١)

(١) تجريد التوحيد المفيد (ص٢٦ - ٢٧).

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾

لا شك ولا ريب أن القرآن الكريم لم يغفل قضية ومسألة الاستغاثة ودعاء الأموات والغائبين من الأنبياء والأولياء الصالحين،ولم يسكت عن بيان حكم هذه البلية، كيف وغاية مقصده بيان التوحيد ودعوة الناس إليه، وكشف الشرك وتنفير الناس منه وعامة من ضل في هذا الباب إنما أتي من قبل إعراضه عن نور القرآن، وإقباله على ذبالات الأذهان، وخرافات الأحبار والرهبان، المعتمدين على منطق اليونان.

وهذا بحث قيّم وردٌّ علمي، فيه إحقاق ونصرة للحق، بل لأعظم حق؛ وهو التّوحيد أعظم حقٍّ لله على العبيد، وهو رد على من أراد أن يخصّص الشرك بتوحيد الربوبيّة فقط، وإن أشرك صاحبه في توحيد الإلهيّة والعبادة، وهذا لا يتم لدعاة وأنصار الضلال والقبوريّة إلا بإنكارهم وجحدهم لكون المشركين في الإلهيّة والعبادة - الذين كفّرهم الله في كتابه - كانوا يقرّون ويوحّدون ويفردون الله بالخلق والرزق والملك والتدبير..

لهذا يلبّسون ويحرّفون ويسعون لإثبات أنّ المشركين الذين كفّرهم الله في كتابه، كانوا يشركون في الربوبيّة ولا يفردون ولا ويوحّدون الله في ذلك، وهذا ليبرّروا ويدفعوا وصف وحكم الشرك على من أشرك في الإلهية والعبادة، ما دام أنه يفرد ويوحد الله في ربوبيته.

وصنيعهم هذا مصادم ومخالف لظاهر بل ولصريح ما ذكره الله في كتابه كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[يوسف: ١٠٦].

قال صاحب هذا البحث نفع الله به:

وهذا بحث مختصر ليس لي فيه إلا جمع الأقوال، وترتيب النقول، فعسى أن ينفع الله به كاتبه وقارئه، وأن يجعله ذخرا لي يوم الحساب.

وقبل الشروع في مقصود البحث لا بد من عرض مقدمات ضرورية، أرى التقصير في عرضها سببا لاتساع رقعة الخلاف، وكثرة القيل والقال.

وإذا ما اتفق الجميع على هذه المقدمات أمكن الاتفاق على المسألة محل النزاع.

المسألة الأولى:

هل كان المشركون الأولون مقرين لله بالربوبية؟

هل أثبتوا خالقا ورازقا ومدبرا لهذا الكون غير الله رب البرية؟

وسيتفرع عن هذه المسألة مسائل، تذكر تباعا إن شاء الله.

والذي يدفعني إلى إثارة هذه القضية التي تبدو من البدهيات الواضحات: أني رأيت بعض من كتب في مسألة الاستغاثة، ينكر هذه القضية، ويزعم أن المشركين لم يفردوا الله بالخالقية والرازقية.

فإليك البيان، وأبدأ بذكر آيات مشهورة معلومة للجميع، مرتبة حسب ترتيب المصحف، مفسرة من كلام أئمة التفسير المتفق على إمامتهم وجلالتهم.

فاللهم وفق وسدد وأعن.

أولا: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]

قال الإمام البغوي (ت: ٥١٦ هـ) في **تفسيره**: "﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ هو الذي يفعل هذه الأشياء ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أفلا تخافون عقابه في شرككم. وقيل: أفلا تتقون الشرك مع هذا الإقرار.﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ﴾ الذي يفعل هذه الأشياء هو ربكم ﴿ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣٢] أي فأين تصرفون عن عبادته وأنتم مقرون به." اهـ

وقال الامام الرازي في تفسيره(١): "ثم بين تعالى إن الرسول ﷺ إذا سألهم عن مدبر هذه الأحوال فسيقولون انه الله سبحانه وتعالى، وهذا يدل على إن المخاطبين بهذا الكلام كانوا يعرفون الله ويقرون به، وهم

(١) تفسير الرازي (١٧ / ٧٠).

الذين قالوا في عبادتهم للأصنام إنها تقربنا إلى الله زلفى، وانهم شفعاؤنا عند الله، وكانوا يعلمون أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر" انتهى

قلت: احفظ هذا الموضع فسنرجع إليه.

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٤ هـ) في تفسيره: "يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته، على وحدانية الآلهة، فقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر فيشق الأرض شقا بقدرته ومشيئته، ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون... فالملك كله العلوي والسفلي وما فيهما من ملائكة وإنس وجان فقيرون إليه، عبيد له خاضعون لديه ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ أي هم يعلمون ذلك ويعترفون به، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم.

وقوله: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ الآية، أي فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة من سواه، وانتم تعلمون انه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ [يونس: ٣٣]،

أي كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره، مع انهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده الذي بعث رسله بتوحيده، فلهذا حقت عليهم كلمة الله انهم أشقياء من ساكني النار" انتهى.

فهذا إفراد لله بالخلق والرزق وهبة السمع والبصر وإخراج الحي من الميت والعكس وتدبير الأمر. فانتبه.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال الإمام البغوي: "فكان إيمانهم إذا سئلوا من خلق السموات والأرض؟ قالوا الله، وإذا قيل لهم من ينزل المطر؟ قالوا الله، ثم مع ذلك يعبدون الأصنام ويشركون" ثم ذكر قول ابن عباس وعطاء، ويأتي.

وقال الإمام ابن الجوزي (٥٠٨ – ٥٩٧)، في **زاد المسير**: "فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم المشركون، ثم في معناها المتعلق بهم قولان:

أحدهما: أنهم يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم، وهم يشركون به، رواه صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة.

والثاني: أنها نزلت في تلبية مشركي العرب، كانوا يقولون: **لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك**. رواه

الضحاك عن ابن عباس" انتهى.

وقال الامام القرطبي (ت: ٦٧١) في **تفسيره** [١]: "نزلت في قوم أقروا بالله خالقهم وخالق الأشياء كلها، وهم يعبدون الأوثان، قاله الحسن ومجاهد وعامر والشعبي وأكثر المفسرين. وقال عكرمة: هو قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ ثم يصفونه بغير صفته ويجعلون له أندادا....

وقال عطاء: هذا في الدعاء، وذلك أن الكفار ينسون ربهم في الرخاء فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء. بيانه ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ الآية، وفي آية أخرى ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾.

وقيل معناها: أنهم يدعون الله ينجيهم من الهلكة فإذا أنجاهم قال قائلهم: لولا فلان ما نجونا، ولولا الكلب لدخل علينا اللص، قلت: وقد يقع في هذا القول والذي قبله كثير من عوام المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم." انتهى.

وقال ابن كثير بعد نقل كلام ابن عباس: "وكذا قال مجاهد وعطاء وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وفي الصحيحين (**إن المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا**

(١) تفسير القرطبي(٩ / ٢٧٢).

شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك)، وفي صحيح مسلم (**إنهم كانوا إذا قالوا لبيك لا شريك لك، قال رسول الله ﷺ (قد قد)**، أي حسب حسب لا تزيدوا على هذا، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ وهذا هو الشرك الأعظم يعبد مع الله غيره." انتهى.

فهاهم يحجون لله! فهل يشك أحد في إقرارهم بالخالق، بل وفي تقديم عبادات له؟!

وهاهم يعترفون بأن جميع آلهتهم مملوكة لله (**تملكه وما ملك**) فهل يقول مسلم بعد ذلك: انهم أشركوا لاعتقادهم أنها آلهة مساوية لله، تنفع وتضر بذاتها.

ولا تعجل بالإنكار على ما تقدم مستدلا بقوله تعالى: ﴿إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ٩٨﴾ فسيأتيك معناه واعلم أن القرآن من عند الله والقرآن لا يتناقض، ولله الحمد.

ثالثا: قوله تعالى: ﴿ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩].

فهل تحتاج هذه الآيات الى تفسير؟! صدق الله، وكذب المبطلون.

قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك: لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق إن كنتم تعلمون مَنْ مالكها؟

ثم أعلمه أنهم سيقرّون بأنها لله ملكا، دون سائر الأشياء غيره. ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك: ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم خلقا سويًّا بعد فنائهم.) انتهى.

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ - **وانتبه جيدا لما يقول**-: "ولهذا قال لرسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين العابدين معه غيره المعترفين له بالربوبية وانه لا شريك له فيها، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية فعبدوا غيره معه، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئا ولا يملكون شيئا ولا يستبدون بشيء، بل اعتقدوا انهم يقربونهم إليه زلفى ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ فقال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ۝٨٤سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ أي فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له، فإذا كان ذلك ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ إنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره. ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك".

انتهى.

ما أروعه من كلام! وسيأتي مزيد توضيح عن حقيقة شركهم، والدافع إليه، لنسف شبهة أن الشرك اعتقاد الاستقلال، أو النفع والضر، أو اعتقاد شريكين متساويين، فقط.

رابعا: قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١]. إلى قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: ٦٣].

قال الامام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السموات والأرض فَسَوّاهن، وسخَّر الشمس والقمر لعباده، يجريان دائبين لمصالح خلق الله؟ ليقولنّ الذي خلق ذلك وفَعَلَه الله. ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فأنى يُصْرفون عمن صنع ذلك، فيعدلون عن إخلاص العبادة له" انتهى.

وقال البغوي[١]: "﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ينكرون التوحيد مع إقرارهم أنه الخالق لهذه الاشياء " انتهى.

وقال ابن الجوزي[٢]: "﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ يعني كفار مكة، وكانوا

(١) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٤).

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٦/ ٢٨٣).

يقرون بأنه الخالق والرازق، وإنما أمره أن يقول ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إقرارهم؛ لأن ذلك يلزمهم الحجة، فيوجب عليهم التوحيد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ توحيد الله مع إقرارهم بأنه الخالق، والمراد بالأكثر: الجميع " انتهى.

وقال القرطبي[١]: "﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ أي فإذا أقررتم بذلك فلم تشركون به، وتنكرون الإعادة؟ " انتهى.

وقال ابن كثير: "يقول تعالى مقررا أنه لا إله إلا هو، لأن المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده ومقدر آجالهم واختلافها واختلاف أرزاقهم، فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره؟ ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته، وكثيرا ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية، وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تلبيتهم: **لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك، الا شريكا هو لك، تملكه وما ملك.**" [٢] انتهى.

خامسا: قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان: ٢٥].

---

(١) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٦١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٦).

قال القرطبي[١]: "أي هم يعترفون بأن الله خالقهم فلم يعبدون غيره". انتهى.

وقال ابن كثير[٢]: "يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء المشركين به، إنهم يعرفون أن الله خالق السموات وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون انها خلق له وملك له... ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ﴾ أي إذ قامت عليكم الحجة باعترافكم". انتهى.

واحفظ هذه الإشارة (يعترفون أنها خلق له وملك له).

سادسا: قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

قال ابن جرير الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام: مَنْ خلق السموات والأرض؟ ليقولنّ: الذي خلقهنّ الله. فإذا قالوا ذلك، فقل: أفرأيتم أيها القوم هذا الذي تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة إنْ أَرَادَنِي اللهُ بِضُرَ، يقول: بشدة في معيشتي، هل هنَّ كاشفات عني ما

(١) تفسير القرطبي (١٤ / ٧٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٤).

يصيبني به ربي من الضر؟. أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ، يقول: إن أرادني ربي أن يصيبني سعة في معيشتي، وكثرة مالي، ورخاء وعافية في بدني، هل هن ممسكات عني ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة؟ **وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه.**

والمعنى: فإنهم سيقولون لا، فقل: حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، وإليه أفزع في أموري دون كلّ شيء سواه، فإنه الكافي، وبيده الضرّ والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، عَلَيْه يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ يقول: على الله يتوكل من هو متوكل، وبه فليثق لا بغيره". انتهى.

وقال القرطبي: "بين أنهم مع عبادتهم الأوثان مقرون بأن الخالق هو الله، وإذا كان الله هو الخالق فكيف يخوفونك بآلهتهم التي هي مخلوقة لله تعالى، وأنت رسول الله الذي خلقها وخلق السموات والأرض... ﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ﴾ نعمة ورخاء ﴿هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾.

قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ فسكتوا.

وقال غيره: قالوا: لا تدفع شيئا قدره الله، ولكنها تشفع. فنزلت ﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ﴾. " انتهى.

قلت: الله اكبر. لا تدفع شيئا قدره الله ولكنها تشفع. فأين شرك الاستقلال واعتقاد الربوبية؟!!

وقال الرازي(١): "اعلم انه تعالى لما أطنب في وعيد المشركين وفي وعد الموحدين، عاد إلى إقامة الدليل على تزييف طريقة عبدة الأصنام، وبنى هذا التزييف على أصلين:

الأصل الأول: هو أن هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العالم الحكيم الرحيم، وهو المراد بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

واعلم أنّ من الناس من قال: إن العلم بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم متفق عليه بين جمهور الخلائق لا نزاع بينهم فيه، وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم؛ فإن من تأمل في عجائب أحوال السموات والأرض وفي عجائب أحوال النبات والحيوان خاصة، وفي عجائب بدن الإنسان وما فيه من أنواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة، علم انه لا بد من الاعتراف بالإله القادر الحكيم الرحيم". انتهى.

وقال ابن كثير: "﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ يعني المشركين، كانوا يعترفون أن الله ﷻ هو الخالق للأشياء كلها، ومع هذا يعبدون معه غيره مما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا." انتهى.

قلت: **لو اعتقد المشركون في آلهتهم نفعا ذاتيا مستقلا، لكان لهم جواب على السؤال**: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾؟

---

(١) تفسير الرازي (٢٥ / ٢٨٢).

بلى، لهم جواب، وهي أنها تشفع!!

سابعا: قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩].

قال ابن عطية(١): "ابتداء احتجاج على قريش يوجب عليهم التناقض في أمرهم. وذلك أنهم يقرون أن الخالق الموجد لهم وللسموات والأرض هو الله تعالى، وهم مع ذلك يعبدون أصناما ويدعونها آلهتهم. " انتهى

وقال القرطبي: " قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ يعني المشركين ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فأقروا له بالخلق والإيجاد، ثم عبدوا معه غيره جهلا منهم، وقد مضى في غير موضع " انتهى. وانظر ابن كثير وغيره.

ثامنا: قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴿٨٧﴾﴾[الزخرف: ٨٧].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك: من خلقهم؟ ليقولنّ: اللّهُ خلقنا، ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ فأيّ وجه يصرفون عن عبادة الذي خلقهم، ويحرمون إصابة الحقّ في عبادته." انتهى.

---

(١) تفسير ابن عطية (١٣ / ٢٠٠).

وقال ابن عطية: "ثم أظهر تعالى الحجة عليهم من أقوالهم وإقرارهم بأن الله تعالى هو خالقهم وموجدهم بعد العدم...". انتهى.

وقال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ أي لأقروا بأن الله خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئا ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي كيف ينقلبون عن عبادته، وينصرفون عنها، حتى أشركوا به غيره، رجاء شفاعتهم له". انتهى.

قلت: احفظ هذا الموضع ولا تنساه. (رجاء شفاعتهم له) لا استقلالا، ولا خلقا.

تاسعا: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢].

وإنما أخرته لحكمة تقف عليها الآن.

قال الإمام ابن جرير الطبري: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

اختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بهذه الآية، فقال بعضهم: عني بها جميع المشركين، من مشركي العرب وأهل الكتاب.

وقال بعضهم: عني بذلك أهل الكتابين: التوراة، والإنجيل.

ذكر من قال: عني بها جميع عبدة الأوثان من العرب وكفار أهل الكتابين:

حدثنا... عن ابن عباس، قال: نزل ذلك في الفريقين جميعا من الكفار والمنافقين. وإنما عَنَى بقوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضرّ، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحقّ لا شك فيه.

حدثنا.... عن قتادة في قوله: ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: أي تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والأرض، ثم تجعلون له أندادا.

ذكر من قال: عَنَى بذلك أهْلَ الكتابين:

حدثنا... عن مجاهد: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: أنه إله واحد في التوراة والإنجيل.

وحدثني، عن مجاهد مثله.

وحدثني... عن مجاهد: ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ يقول: وأنتم تعلمون أنه لا ندّ له في التوراة والإنجيل.

قال أبو جعفر: وأحسب أن الذي دعا مجاهدا إلى هذا التأويل، وإضافة ذلك إلى أنه خطاب لأهل التوراة والإنجيل دون غيرهم، الظنّ منه بالعرب أنها لم تكن تعلم أن الله خالقها ورازقها بجحودها وحدانية ربها، وإشراكها معه في العبادة غيره. وإن ذلك لقولٌ، ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها أنها كانت تقرّ بوحدانيته،غير أنها كانت تشرك في

عبادته ما كانت تشرك فيها، فقال جل ثناؤه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

فالذي هو أولى بتأويل قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانية الله، وأنه مبدع الخلق وخالقهم ورازقهم، نظير الذي كان من ذلك عند أهل الكتابين. ولم يكن في الآية دلالة على أن الله جل ثناؤه عنى بقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أحد الحزبين، بل مخرج الخطاب بذلك عام للناس كافة لهم، لأنه تحدّى الناس كلهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: أن يكون تأويله ما قاله ابن عباس وقتادة، من أنه يعني بذلك كل مكلف عالم بوحدانية الله، وأنه لا شريك له في خلقه يشرك معه في عبادته غيره، كائنا من كان من الناس، عربيا كان أو أعجميا، كاتبا أو أميا، وإن كان الخطاب لكفار أهل الكتاب الذين كانوا حوالي دار هجرة رسول الله ﷺ، وأهل النفاق منهم وممن بين ظهرانيهم ممن كان مشركا فانتقل إلى النفاق بمقدم رسول الله ﷺ." انتهى.

فانتبه إلى هذا الكلام العظي، لا سيما قوله إنه خطاب عام للناس كافة، لكل من يؤمن بالله ثم يشرك معه غيره في العبادة.

لكني أقول والله أعلم: إننا لا نظن في مجاهد أنه قال ما قال لأجل ذلك، فقد سبق تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ وأنه موافق لابن عباس بأنها في المشركين، يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم وهم يشركون به.

بل العجيب أن الطبري نقل كلام مجاهد في تفسير الآية المشار إليها قال: "حدثني... عن مجاهد (إيمانهم قولهم الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا، هذا إيمان مع شرك، عبادتهم غيره) انتهى من الطبري لعله خص أهل الكتاب بذلك، لكون الآية مدنية، أو غير ذلك، والله اعلم.

ومن باب الفائدة أنقل كلام بعض الأئمة من غير المفسرين:

أولا: الإمام ملا علي القاري قال[١]: "وقد أعرض الإمام عن بحث الوجود اكتفاء بما هو ظاهر في مقام الشهود، ففي التنزيل: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

فوجود الحق ثابت في فطرة الخلق كما يشير إليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ويومئ إليه حديث:

"كل مولود يولد على فطرة الإسلام".

وإنما جاء الأنبياء عليهم السلام لبيان التوحيد وتبيان التفريد، ولذا

---

(١) شرح الفقه الأكبر (ص ١٦).

أطبقت كلمتهم وأجمعت حجتهم على كلمة لا إله إلا الله، ولم يأمروا أهل ملتهم بأن يقولوا: الله موجود، بل قصدوا إظهار أن غيره ليس بمعبود، ردا لما توهموا وتخيلوا حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى. على أن التوحيد يفيد الوجود مع مزيد التأييد." انتهى.

فاحفظ هذا الكلام، والخبير يعرف من المقصود برد الإمام.

ثانيا: وقال على القاري أيضا[1]: تعليقا على ما نقله القاضي عن الباقلاني أن الإيمان بالله هو العلم بوجوده، قال: " وما يتعلق به من توحيد ذاته، وإلا فمجرد العلم بوجوده حاصل لعامة خلقه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ وإنما أنكر وجوده سبحانه طائفة من الدهرية والمعطلة. " انتهى.

ولست بحاجة إلى نقل كلام ابن تيمية وابن القيم والآلوسي والشوكاني والصنعاني والقاسمي والشنقيطي والسعدي، ولا كلام محمد بن عبد الوهاب وأحفاده. ولله الحمد والمنة.

(١) شرح الشفا للقاضي عياض (٢ / ٥٢٨).

تحذير..

احذر أخي أن تخالف أمرا ثابتا بالقرآن الكريم نحو هذا الثبوت المقطوع به فيما تقدم.

يقول القاضي عياض في الشفا مع شرح القاري(١): "أو كذب به، أي بالقرآن جميعه أو بشيء منه... (**أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك**) أي دون نسيان أو خطأ (**أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم**) قاطبة (**بإجماع**) لا خلاف فيه" انتهى.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

فها هو أحدهم يقول: (**هذه الآيات صريحة في إنكار المشركين للخالق سبحانه وتعالى، فدل انهم كانوا مشركين في خالقية الله تعالى**)!

وآخر يقول: (**فإذا ليس عند هؤلاء الكفار توحيد الربوبية كما قال ابن تيمية**)!

والسؤال: هل المفسرون السابق ذكرهم من تلاميذ ابن تيمية! الطبري والقرطبي وابن عطية، والرازي وابن الجوزي... ؟!

وثالث منهم يقول: (**وإني لأعجب من تفريقهم بين توحيد الألوهية**

(١) شرح الشفا للقاضي عياض (٢/ ٥٤٩).

والربوبية، وجعل المشركين موحدين توحيد الربوبية).

ورابع يقول: **(ثم انه سبحانه حكم بشركهم لاتخاذهم تلك الأصنام شريكا لله في الخلق وتدبير العالم، وجوزوا عبادتها خلافا لله تعالى).**

تأمل: (في الخلق وتدبير العالم)! ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾، ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ... سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ ﴾.

لكن...

ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.[(١)]

(١) https://www.ahlalhdeeth.com/vb/archive/index.php/t-345279.html

اعتراضات المتأخرين من الأشاعرة على إدخال توحيد الألوهية ضمن أنواع التوحيد[١]

اعترض المتأخرون من الأشاعرة على تقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية، وسبب هذا الاعتراض يرجع إلى أن الأشاعرة ألفوا القول بأن أول واجب على المكلف هو توحيد الربوبية، ثم إنهم رتبوا على هذا القول أمراً وهو: أنه لا يتصور وقوع الشرك إلا إذا اعتقد الإنسان ربوبية غير الله تعالى، كما سيأتي في عرض شبههم إجمالاً -إن شاء الله-.

وقد اعترض كثير منهم في كتبهم على هذا التقسيم، وسأكتفي بنقل عبارات أحدهم مع الرد عليها - إن شاء الله- فمن هؤلاء: "**أحمد زيني دحلان**" ويمكن تقسيم ما أورده من شبهات إلى أربعة أنواع، فإنه قد قال: "وأما جعلهم التوحيد نوعين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فباطل أيضاً"[٢] ثم ساق شبهه.

الشبهة الأولى: قال: "فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية، ألا ترى

(١) وهذا الفصل منقول من (موقع الدرر السنية) وفيه ولله الحمد رد على رسالة (الدرر السنية في الرد على الوهابية).

(٢) الدرر السنية في الرد على الوهابية (ص٤٠).

إلى قوله تعالى: ﴿أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾؟ [الأعراف: ١٧٢]. ولم يقل: ألست بإلهكم!، فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية".

الجواب، والرد عليه من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول[1]: إن هذه الآية غاية ما تفيده أنه عند إفراد الربوبية تدخل فيها الألوهية، باعتبار أن الاسم يدل على المعنى إما مطابقة أو تضمنا أو التزامًا[2]، فيلزم من كونه ربًا أن يكون إلهًا، معبوداً مطاعًا، فالدلالة لزومية هنا، ولهذا كان يحتج الله على المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية ليثبتوا توحيد الألوهية، ولذلك فهذه الآية لا تفيد حصر التوحيد في الربوبية، وإذا سُلم أنها دالة على توحيد الربوبية فقط فإنها لا تنفي غيره، وقد وردت أدلة أخرى دالة على الألوهية فيجب الأخذ بها، كقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١- ٢٢]، فتضمنت الآيتان توحيدي الألوهية والربوبية أما الألوهية ففي جانبي الإثبات والنفي المذكورين وهما: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ و﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، وأما

(١) انظر هذا الوجه في صيانة الإنسان (ص٤٤٢).

(٢) انظر أنواع الدلالات وتعريفها (ص٣٢٨).

الربوبية ففي تقرير الله تعالى أنه خالقهم وخالق كل الناس، والمنعم عليهم بأنواع النعم، ثم قررهم بقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم غير الله تعالى فكيف تشركون به في العبادة؟!.[(١)]

ومن الآيات الدالة كذلك على نوعي التوحيد: قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦] قال مجاهد في تفسير الآية: "إيمانهم: قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره"[(٢)]، وقال قتادة: "إنك لست تلقى أحداً إلا أنبأك أن الله ربه وهو الذي خلقه ورزقه وهو مشرك في عبادته"[(٣)]. وقال ابن زيد: "ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله، ويعرف أن الله ربه وأن الله خالقه ورازقه، وهو يشرك به. ألا ترى كيف قال إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشعراء: ٧٥، ٧٦، ٧٧]، وقد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون، قال: فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به. ألا ترى كيف كانت العرب تلبي تقول: "**لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك**، المشركون كانوا يقولون

(١) جامع البيان (١/ ١/ ١٦٠- ١٦٤).

(٢) جامع البيان(٨/ ١٣/ ٧٧- ٧٨).

(٣) جامع البيان (٨/ ١٣/ ٧٨).

هذا."[١] اهـ.

الوجه الثاني: إن الآية وهي قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ يحتمل أن تكون كنظائرها التي تقدمت في إلزام الله تعالى للناس باعترافهم بالربوبية ليفردوه بالعبادة، ولذلك قال الشيخ محمد بشير السهسواني: "إن الإقرار بتوحيد الربوبية مع لحاظ قضية بدهية، وهي: أن غير الرب لا يستحق العبادة يقتضي الإقرار بتوحيد الألوهية عند من له عقل سليم وفهم مستقيم، فيكون الإقرار المذكور حجة عليهم، كما احتج الله تعالى على المشركين بتوحيد الرازق ومالك السمع والأبصار... على وحدانية الألوهية".[٢]

الوجه الثالث[٣]: أن يكون المراد بالرب في الآية: المعبود – كما في قول الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، ومن المعلوم أن أهل الكتابين ما كانوا يقولون إن أحبارهم ورهبانهم يخلقون ويرزقون ونحو ذلك، ولذلك نبه الله عليهم في آخر الآية نفسها بالذي أمرهم به وهو: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣١].

(١) جامع البيان للطبري (١٣/ ٨ ٧٨- ٧٩).

(٢) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص ٤٤٣).

(٣) انظر هذا الوجه في صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص ٤٤٧).

نعم إن الشرك في الألوهية الذي وقعوا فيه باتخاذ القبور مساجد ونحو ذلك متضمن للشرك في بعض مسائل الربوبية – لا أصل الربوبية كله – وذلك كالطاعة المطلقة للأحبار والرهبان التي هي شرك في التشريع كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١] ولذلك فالآية **دالة على نوعي التوحيد بالمفهوم لا على نوع واحد فضلاً عن حصره فيه.**

الوجه الرابع: قال الشيخ السهسواني: "الاحتمال الثاني: أن في الآية اختصاراً والمقصود: ألست بربكم وإلهكم، يدل عليه أثر ابن عباس رضي الله عنه: **(إن الله لما مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وتكفل لهم بالأرزاق)**[1]، وفي أثر أبي بن كعب رضي الله عنه (فذكره وفي آخره): **(اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري فلا تشركوا بي شيئًا، فإني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي، قالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك، فأقروا له يومئذ بالطاعة)**."[2] اهـ.

(١) أثر ابن عباس الموقوف – أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (جامع البيان ٦/ ٩/ ١١٢).

(٢) صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان للسهسواني (ص ٤٤٦).

وإذا كان كذلك فإنه لا يفهم أن الآية دالة على الربوبية فقط وأنه يكتفي بالتوحيد فيها فقط. كيف والأدلة دالة على أن الإقرار بالربوبية فقط لا يكفي وإنما لابد من الإقرار بتوحيد الألوهية مع توحيد الربوبية.

الشبهة الثانية: قال أحمد دحلان: "ومن المعلوم أن من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالألوهية إذ ليس الرب غير الإله، بل هو الإله بعينه، وفي الحديث: إن الملكين يسألان العبد في قبره فيقولان له من ربك؟ ولم يقولا له: من إلهك؟ فدل على أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية."(١)

الجواب: كلامه غير مستقيم في قوله: "من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالألوهية" إذ يناقض ما حكاه الله عن المشركين بقوله: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فهم قد أقروا بنص القرآن لله بأنه ربهم ثم أشركوا به في ألوهيته. وقد تقدم ذكر قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] ونقل أقوال الأئمة الذي يفيد أن المشركين كانوا يقرون لله تعالى بالربوبية ويشركون به في الألوهية أي العبادة. فلو قال دحلان: من أقر لله بالربوبية يلزمه أن يقر له بالألوهية، لاستقام كلامه، ولكن كلامه لا يصدق إلا على المؤمنين فلا يعتبر قضية عامة، إذ الواقع بخلافها.

---

(١) الدرر السنية في الرد على الوهابية (ص٤٠).

ثم إن قوله: "ليس الرب غير الإله بل هو الإله بعينه" فكلام صحيح في واقع الأمر وفي اعتقاد الموحدين، ولكن فيه تلبيس، ولكشفه فإنه لابد من بيان ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن الإله هو الرب نفسه في واقع الأمر، فهذه القضية صحيحة لا شك فيها.

الحالة الثانية: أن الإله هو الرب نفسه في اعتقاد الموحدين المؤمنين كما عليه في نفس الأمر، وهذه قضية صحيحة لا شك فيها أيضـًا.

الحالة الثالثة: أن الإله هو الرب نفسه في اعتقاد المشركين، وهذا هو محل النزاع، فإن الإله الحق في نفس الأمر واعتقاد الموحدين هو الرب نفسه، إلا أن المشركين كانوا يتخذون غير الله آلهة مع اعترافهم بأن الله هو الرب الخالق، المالك المدبر، فلذلك لا يصح كلام دحلان ولا ينطبق على هذه الحالة، وبه يتبين وجه تلبيسه، ثم إن كثيراً ممن ينتسب إلى الإسلام ممن وقع في الشرك يقر لله تعالى بالربوبية والألوهية، ولكنه يأتي بما يخالف إقراره فيقع في بعض أنواع الشرك ويسميها بغير اسمها، وهذا لا يغير من الحقيقة شيئـًا كالذي يشرب الخمر ويسميها بغير اسمها.(١)

وأما احتجاجه بحديث سؤال الملكين: "**من ربك؟**" وقوله بعده: "فدل على أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية"، فجوابه كما تقدم أن

(١) انظر صيانة الإنسان (ص٤٤٧ – ٤٤٨)، ورسالة الشرك ومظاهره (ص٩٠).

الرب المقصود به الإله، ويقويه رواية البخاري: " **إذا أقعد المؤمن في قبره أتي، ثم شهد: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**" فهذه الرواية تفسر الرواية الأخرى الواردة بلفظ "**من ربك**"، إذ المقصود توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية لا توحيد الربوبية فقط. ويقويه كذلك أنه قد علم بأدلة قطعية أنه ليس كل من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالألوهية، إذ قد خالف في هذا المشركون بالله غيره في العبادة.

الشبهة الثالثة: قال دحلان بعد كلام مليء بالتهم الباطلة: "وهل للكافر توحيد صحيح؟ فإنه لو كان للكافر توحيد صحيح لأخرجه من النار، إذ لا يبقى فيها موحد".[1]

الجواب: ما قال أحد من أهل السنة إن من أشرك في الألوهية وأقر لله بالربوبية يكون توحيده صحيحاً ويوجب له دخول الجنة، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ ﴾ [المائدة: ٧٢] فالآية فيها الإطلاق، أي من يشرك بالله شركاً أكبر في الألوهية أو الربوبية يدخل النار.

وأما أن يفهم دحلان أن من أقر لله تعالى بالربوبية يكون توحيده صحيحاً فهذا إنما يلزمه هو بناءً على أصله من أن توحيد الربوبية هو

(١) الدرر السنية (ص٤٠ – ٤١).

الغاية العظمى، وهي التي بالغ فيها سلفه الأشاعرة في تحقيقها[١]، ولذلك ظن دحلان أن من أقر لله بالربوبية يكون له توحيد صحيح، وأما أهل السنة فلا يقولون بهذا القول، ومستندهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦] فسماهم الله تعالى مشركين وإن كانوا قد آمنوا بأنه ربهم وخالقهم!

الشبهة الرابعة: قال دحلان: "فهل سمع المسلمون في الأحاديث والسير أن رسول الله ﷺ إذا قدمت عليه أجلاف العرب ليسلموا على يده يفصل لهم توحيد الربوبية والألوهية ويخبرهم أن توحيد الألوهية هو الذي يدخلهم في دين الإسلام؟ أو يكتفي منهم بمجرد الشهادتين وظاهر اللفظ ويحكم بإسلامهم؟، فما هذا الافتراء والزور على الله ورسوله، فإن من وحد الرب فقد وحد الإله، ومن أشرك بالرب أشرك بالله، فليس للمسلمين إله غير الرب، فإذا قالوا: لا إله إلا الله، إنما يعتقدون أنه هو ربهم فينفون الإلهية عن غيره، كما ينفون الربوبية عن غيره أيضاً، ويثبتون له الوحدانية في ذاته وصفاته وأفعاله".[٢]

الجواب من وجهين:

الوجه الأول: يقال له من باب المعارضة، وهل قال رسول الله ﷺ: إن

---

(١) انظر قولهم في [مسألة الواجب على المكلف (ص٣١٤ - ٣٥٤)].

(٢) الدرر السنية في الرد على الوهابية (ص٤١).

الوحدانية تكون في الذات والصفات والأفعال، كما نص الأشاعرة على أن هذه هي أنواع التوحيد، وكما نص دحلان نفسه عليها في كلمته المنقولة سابقـًا؟!

الوجه الثاني: إن دعواه - كما يفهم من سؤاله الإنكاري - أن الرسول ﷺ ما كان يفصل لأجلاف العرب نوعي التوحيد - لا تخلو من أحد احتمالين-:

الاحتمال الأول: إما أن يريد أن الرسول ﷺ ما بين لهم معنى التوحيد، فهذا باطل، يعلم بطلانه بالضرورة من دين الإسلام. ويمكن أن يعلم بيان الرسول ﷺ للتوحيد، بنهيه عن الشرك وتحذيره منه وبيان خطره وقبحه، وبإقامة الأدلة والحجج على وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة، بأنواع من الأدلة، كبيان ربوبية الله تعالى وإنعامه وتقرير المشركين بذلك، وبيان ضعف وعجز من يعبد من دون الله... إلخ وبيانه وسائل الشرك وذرائعه ونهيه وتحذيره منها فكيف بعد هذا كله يقال إن الرسول ﷺ ما بين نوعي التوحيد معنى؟!.

الاحتمال الثاني: أو يريد أن الرسول ﷺ ما نص لفظـًا أن التوحيد ينقسم إلى الربوبية والألوهية. فهذا حق، ولكن لا يلزم منه ألا يكون قد بين معنى التوحيد، وإذا كان اعتراضه مجرد اعتراض على تقسيم التوحيد فيعترض كذلك على الأشاعرة في تقسيمهم القاصر للتوحيد إلى وحدانية

في الذات والصفات والأفعال! كيف والأدلة دالة على شمول تقسيم أهل السنة للتوحيد.

وبهذا يعلم أنه ما افترى أهل السنة على الله ورسوله كذباً في تقسيمهم للتوحيد، وأما دعواه أنه يكفينا ظاهر التلفظ بالشهادتين للحكم بإسلام الشخص، فكلام صحيح، ولكن ماذا يقال: لو قالها وأتى بما يناقضها أفلا يبين له ذلك! فهذا أمر لاخفاء فيه، كيف وقد قال الرسول ﷺ لبعض حدثاء الإسلام عندما طلبوا شجرة ليعلقوا فيها أسلحتهم – ذات أنواط – قال لهم: "**الله أكبر، إنها السنن، قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ **[الأعراف: ١٣٨]**". ولذلك فقوله: "ليس للمسلمين إله غير الرب..." فكلام صحيح، ولكن المشكلة هي وقوعهم في بعض أنواع الشرك - وإن سموها بغير اسمها، إذ تغيير الأسماء لا يغير من الحقائق الشرعية شيئاً- فقيامهم ببعض التعبد لغير الله يعد تأليهاً لغير الله.[1]

---

(١) منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى لخالد عبد اللطيف (١/ ١٧٤) (موقع الدرر السنية).

الفهرس

الفهرس

صدر للمؤلف

١- الإصرار والاستهانة بصغائر الذنوب مهلكة.

٢- أهمية وضرورة وأثر مجاهدة النفس والتدبر والخوف والبكاء من خشية الله في حياة وسلامة القلب.

٣- عِظَمُ حق الجار والوصيّة به في الكتاب والسّنّة.

٤- عِظَمُ فضائل وجليل ثواب ذكر الله عزّ وجلّ.

٥- عِظَمُ فضلِ وأهميةِ الخشوع في الصلاة وجليلُ آثارِه وثـمارِه.

٦- عظمةُ وحُرمةُ الأشهُر الحُرُم.

٧- كلماتٌ نَيِّرات فِي فضل وأهميةِ العلم وضرورة العمل به.

٨- "لا إله إلا الله" أفضل وأعظم الحسنات التي تُذهب وتمحو السيئات.

٩- الشّرك بالله يهدّد ويهدم الأعمال والأعمار ويحرم سعادة ونعيم الأبد.



ISBN 978-9931-616-53-5

9 789931 616535